□ عُلُوُّ هِمَّةِ الصبيانِ □

من قسمة الله التي أمضاها ، واستأثر بسرِّ مقتضاها ؛ أن جعل من بعض الصبيان من عَلَتْ هِمَّتُه ، فكان قُرَّةَ عينٍ ، ودُرَّة زيْنٍ .

«فكم من ولد شُدَّ به أزْر سلفِهِ ، وشِيد به ذكْر خلَفِهِ ؛ فكان بدرًا في بروج المحاشد[1] ، وقُطبًا لفلك المحامد »[2] .

كأنهم وُلدوا من قبلِ أن وُلدوا   أو كان فهْمُهُمُ أيامَ لم يكُنِ[3]

وهذا فصْل جمعنا فيه من دُرَرِ أنباء نُجباء الأبناء ، ما هو كشررةٍ من ضرام ، بل كقطرةٍ من رِهام[4] ؛ قصدتُ به تلقيح هِمَّة غلام ، وتنقيح فِطنة كَهَام[5] .

١ - يحيى بن زكريا عليهما السلام :

قد كانت لزكريا عليه السلام إلى ملك الملوك حاجةٌ ، ولازم سُدَّة مولاه إلى أن أتتْه الإجابة .

قال تعالى : ﴿ **يا زكريا إنا نبُشِّرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبلُ سميًّا** ﴾ [مريم : ٧] . « إن الله هو الذي سمَّاه ، ولم يكِلْ تسميته لأبيه ، وفي هذا منقبة عظيمة ليحيى »[6] ما أظنُّ أن أحدًا من البشر حازها

---

(١) المجامع .

(٢) أنباء نُجَبَاء الأبناء، لمحمد بن مُظفر، تحقيق: إبراهيم يونس، طبع دار الصحوة ص١٩.

(٣) ديوان المتنبي ص١٨٢ .

(٤) رهام : جمع رِهمة بكسر الراء ، وهي المطر الضعيف القطر .

(٥) كَهَام : يُقال : فرس كَهَام ؛ أي بطيء عن الغاية . والمراد : غلام مُقصِّر لا يُحاول الوصول إلى غايته .

(٦) أضواء البيان ٤/٢١٤ .

سواه . قال ابن عباس : لم يُسمَّ يحيى قبله غيره ، وقال أيضًا : هل تعلم له مثلًا أو شبهًا . ومَنْ تولَّى الله تسميته ... صنعه على عينه .

قال تعالى : ﴿ **وآتيناه الحكم صبيًّا** ﴾ [مريم : ١٢] ؛ فهمًا وعلمًا وجدًّا وعزمًا، وإقبالًا على الخير، وانكبابًا عليه، واجتهادًا فيه، وهو حَدَثٌ صغير.

قال أبو حيان : الحكْم : النبوة .

آتاه الله الحكم صبيًّا ، فكان فذًّا في زاده كما كان فذًّا في اسمه وميلاده ، فالحكمة تأتي مُتأخِّرة ، ولكن يحيى قد زُوِّد بها صبيًّا .

قال الصبيان ليحيى بن زكريا : اذهبْ بنا نلعب . قال : ما للَّعب خُلقنا .

فسلام الله على مَنْ سلَّم الله عليه في مواطن الوحشة وأمَّنه ، وسلام الله على مَنْ وصفه الله بالسيادة ، فكان سيِّدًا في العلم والعبادة .

٢ - غـلام الراهـب :

عن صُهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إني قد كبرتُ ، فابعثْ إليَّ غلامًا أُعلِّمه السِّحْرَ . فبعث إليه غلامًا يُعلِّمه ، وكان في طريقه إذا سلك راهبٌ ، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيتَ الساحر فقلْ : حبسني أهلي ، وإذا خشيتَ أهلك فقلْ : حبسني الساحر. فبينما هو على ذلك إذْ أتى على دابَّة عظيمة قد حبستِ الناسَ. فقال : اليوم أعلم ؛ الساحرُ أفضلُ أم الراهبُ أفضلُ ؟ فأخذ حجرًا ، فقال : اللهمَّ إنْ كان أمْر الراهب أحبَّ إليك من أمْر الساحر فاقتلْ هذه الدابة حتى يمضي الناس . فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهبَ فأخبره . فقال له الراهب : أي بُني ، أنت اليوم أفضلُ مني ، قد بلغ من أمْرك ما

أرى ، وإنك ستُبتلى ، فإنِ ابتُليتَ فلا تدلَّ عليَّ . وكان الغلام يُبرىء الأكمه[١] والأبرص ، ويُداوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع جليس للملك كان قد عمي ، فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما هاهنا أجمع لك إنْ أنت شفيتني . قال : إني لا أشفي أحدًا ، إنما يشفي الله عزَّ وجلَّ ، فإنْ آمنتَ بالله دعوتُ الله فشفاك . فآمن بالله ، فشفاه الله ، فأتى الملك ، فجلس إليه كما كان يجلس . فقال له الملك : مَنْ ردَّ عليك بصرك ؟ قال : ربي . قال : ولك ربٌّ غيري ؟ قال : ربِّي وربُّك الله . فأخذه ، فلم يزل يُعذِّبه حتى دلَّ على الغلام . فجيء بالغلام ، فقال له الملك : أي بنيَّ ، قد بلغ من سحرك ما يبرىء الأكمه والأبرص ، وتفعل وتفعل ! فقال : إني لا أشفي أحدًا ، إنما يشفي الله عز وجل . فأخذه ، فلم يزل يُعذِّبه حتى دلَّ على الراهب . فجيء بالراهب ، فقيل له : ارجعْ عن دينك ، فأبى ، فدعا بالمئشار[٢]، فوضع المئشار على مفرق رأسه ، فشقَّه به حتى وقع شِقَّاهُ . ثم جيء بجليس الملك ، فقيل له : ارجعْ عن دينك ، فأبى ، فوضع المئشار في مفرق رأسه ، فشقَّه حتى وقع شِقَّاه . ثم جيء بالغلام ، فقيل له : ارجعْ عن دينك ، فأبى ، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه ، فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغتم ذروته ، فإنْ رجع عن دينه ، وإلا فاطرحوه . فذهبوا به ، فصعدوا به الجبل ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئتَ . فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله . فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به ، فاحملوه في قُرقُور[٣]، فتوسَّطُوا به البحر ، فإنْ رجع عن دينه ،

---

(١) الأكمه : الذي خُلق أعمى .

(٢) قال النووي: «المئشار» مهموز في رواية الأكثرين، ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياءً ، ورُوي المنشار بالنون ، وهما لغتان صحيحتان .

(٣) القُرقُور: قال النووي: بضم القافين، السفينة الصغيرة. وقيل: الكبيرة، واختار =

وإلا فاقذفوه . فذهبوا به ، فقال : اللهمَّ اكفنيهم بما شئتَ . فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله . فقال للملك : إنك لستَ بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به ! قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد ، وتصلبني على جِذع ، ثم خذْ سهمًا من كنانتي ، ثم ضعِ السهم في كبد القوس ، ثم قل : بسم الله رب الغلام ، ثم ارم ، فإنك إذا فعلتَ ذلك قتلتني . فجمع الناس في صعيد واحد ، وصلبه على جِذع ، ثم أخذ سهمًا من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال : بسم الله ربِّ الغلام ، ثم رماه ، فوقع السهم في صُدْغه ، فوضع يده في صُدْغه موضع السهم فمات . فقال الناس : آمنَّا بربِّ الغلام ، آمنَّا بربِّ الغلام . فأُتي الملك ، فقيل له : أرأيتَ ما كنتَ تحذر ؟ قد - والله - نزل بك حذرُك ، قد آمن الناس! فأمر بالأخدود[1] بأفواه السِّكَك فخُدَّتْ، وأضرم النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فأحمُوه[2] فيها. ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبيٌّ لها، فتقاعستْ أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أُمَّهْ ، اصبري فإنك على الحقِّ »[3].

٣ - علي بن أبي طالب :

« صُبْحٌ لا يُحجبُ فَلَقُه[4]، وسابح لا يُستوعب ....

= القاضي الصغيرة .

(١) الأخدود : الشَّقُّ العظيم في الأرض .

(٢) فأحموه : أي ارموه فيها ؛ من قولهم : حميت الحديدة وغيرها ،إذا أدخلتها النار لتُحمى . قال النووي : ووقع في نُسَخ بلادنا (فأقحموه) بالقاف ، ومعناه : اطرحوه فيها كرهًا .

(٣) رواه مسلم وأحمد والترمذي، وعزاه المزيُّ للنسائي، وأخرجه الطبري في التفسير.

(٤) نوره .

طَلَقه »[1] .

« عن زيد بن أرقم قال : أول من أسلم مع رسول الله ﷺ : عليُّ ابن أبي طالب »[2] .

قال محمد بن المنكدر وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم والكلبي : عليٌّ أول مَنْ أسلم .

قال الكلبي : أسلم وهو ابن تسع سنين .

وعن ابن إسحاق قال : أَوَّلُ ذَكَرٍ آمن برسول الله ﷺ وصلَّى معه وصدَّقه : عليُّ بن أبي طالب ، وهو ابن عشر سنين ، وكان في حِجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام .

« وقال محمد بن كعب : أول مَنْ أسلم من هذه الأُمَّة : خديجة ، وأول رجُلين أسلما : أبو بكر وعلي . وأسلم عليٌّ قبل أبي بكر ، وكان علي يكتم إيمانه ؛ خوفًا من أبيه ، حتى لقيه أبوه ، قال : أسلمتَ ؟ قال : نعم . قال : وازرِ ابن عمِّك وانصرْه .

وعن ابن عباس : أول مَنْ صلَّى : عليٌّ .

وعن جابر : بعث النبي ﷺ يوم الإثنين، وصلَّى عليٌّ يوم الثلاثاء »[3] .

وجمعًا بين الأقوال كلها : « أول مَنْ أسلم من النساء خديجة –

---

(١) جري الفرس .

(٢) حسن رواه أحمد ، وأخرجه النسائيُ في « الخصائص » مُختصرًا ، والحاكم وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي ، والنسائيُ في الفضائل ، وأحمد في «فضائل الصحابة»، وابن سعد في «الطبقات»، وابن أبي شيبة . وفي بعض طرق الحديث « أول من صلَّى » .

(٣) البداية والنهاية ٣/٢٥ .

وقيل : الرجال أيضًا - وأول مَنْ أسلم من الموالي زيد بن حارثة ، وأول مَنْ أسلم من الغلمان عليٌّ بن أبي طالب ، فإنه كان صغيرًا دون البلوغ على المشهور ؛ كانوا إذ ذاك أهل البيت ، وأول مَنْ أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصدِّيق »[1].

« رضي الله عن الغلام المبارك الذي وُلد في الإيمان والعبادة والهدى ، وكان سابق المسلمين. بُوركت هذه الحياة !! حياة لم تكن لها قطُّ: صبوةٌ، ولا شهوة ، ولا هفوة !! حياة وُلد صاحبها ، وتَبِعاتُ الرجال فوق كاهله !! حتى لهْو الأطفال ، لم يكن لحياة ابن أبي طالب فيه حظٌّ ولا نصيبٌ !! لكأنَّ المقادير كانت تدَّخر سمْعه ووجدانه لكلمات أخرى ستُغيِّر وجه الأرض ووجه الحياة !

وفي نور الآيات المُنزَّلة قضى عليٌّ بواكير حياته النضرة ؛ يبَهره نورُها ، ويهزُّه هديرُها . وكان ربيب الوحي ، والتلميذَ الأول للقرآن .. وكان له فضْل السبق والصدْق »[2].

وَوُرِّث فرعَ المجدِ من آلِ هاشمٍ وجاء كريمًا من كرامٍ أماثِلِ

٤ - تُرجمان القرآن وحَبْرُ الأُمَّة عبد الله بن عباس :

ما كان يشغل بال ابن عباس وهو صبيّ - ابن عشر سنين - إلا معرفة كيفية قيام النبي ﷺ .

وأعدَّ وضـوء النبي ﷺ لصلاة الليل ، فدعا له « اللهمَّ فقِّهْهُ في الدين » ، وصار بهذا الدعاء - الذي ناله وهو صبي - حَبْر الأمة وترجمان القرآن .

---

(١) البداية والنهاية ٣/٢٦ . وهو قول أبي حنيفة أيضًا .

(٢) في رحاب علي لخالد محمد خالد ، خلفاء الرسول لخالد محمد خالد ص٣٥٩- ٣٦١.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « صلَّيتُ مع النبي ﷺ ، فقمتُ إلى جنبه عن يساره ، فأخذني فأقامني عن يمينه . قال : وقال ابن عباس : وأنا يومئذٍ ابن عشر سنين »[١] .

وفي لفظ لمسلم : « فجعلتُ إذا أغفيتُ ، يأخذ بشحمة أُذُني اليمنى يفتلُها » .

قال النووي : « إنما فتلها ؛ تنبيهًا له من النُّعاس »[٢] .

وَلَكَمْ يخشع القلم أمام حَبْر الأمة وهو يقوم الليل وهو غلام ، ويجعل هَمَّه حين يبيت عند خالته ميمونة أن لا ينام حتى ينظر ما يصنع في صلاة الليل ، كما ورد في الحديث . عزم في نفسه على السهر ؛ ليطَّلع على قيام النبي ﷺ للَّيل ، ثم خشي أن يغلبه النوم ، فيُوصي خالته كما يُحدِّثنا : « فقلتُ لميمونة : إذا قام رسول الله ﷺ فأيقظيني » . ثم انظر إلى أدبه يقول : « فقمتُ فتمطَّيْتُ ؛ كراهة أن يرى أني كنتُ أرقبه » . وكأنه خشي أن يترك رسول الله ﷺ بعض عمله ؛ لِمَا جرى من عادته ﷺ أنه كان يترك بعض العمل ؛ خشية أن يُفرض على أُمَّته . ويكابد ابن عباس السهر وطوله مع رسول الله ﷺ وهو يُحيي معظم الليل ..

انظرْ إلى جبهة الغلام الطَّيِّب المبارك ، وهي تسجد لربِّها قدْر قراءة خمسين آية في ظلام الليل ، ويعطف رسول الله ﷺ ويُشفق على ابن عمِّه الصغير . فيقول ابن عباس عن رسول الله ﷺ : « وضع يده اليمنى على رأسي ، وأخذ بأُذُني اليمنى يفتلها ، فجعل يمسح بها أُذُني ، فعرفتُ أنه إنما صنع ذلك ليؤنسني بيده في ظُلمة البيت » .

---

(١) إسناده صحيح : رواه أحمد في مسنده ، وصحَّحه الشيخ أحمد شاكر رقم (٣٤٣٧) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٤١١ .

انظروا معاشر المؤمنين ، وقولوا للعالم أجمع : تعالوا ، فهذه هِمَمُ صِبية بيت النبوَّة ، وهذا أدبُهم لله دَرُّهم من « طين عُجن بماء الوحي ، وغُرِس بماء الرسالة فهل يفوح منها إلا مسْك الهدى وعنبر التُّقى »[1]!!

٥ - الزبير بن العوَّام :

حواريُّ رسول الله ﷺ . أسلم وهو حَدَثٌ ، له ستُّ عشرة سنة . وهو أول مَنْ سلَّ سيفه في سبيل الله .

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : « عن عروة قال : أسلم الزبير ، ابن ثمان سنين ، ونُفخت نفخةٌ من الشيطان أن رسول الله ﷺ أُخِذَ بأعلى مكة . فخرج الزبير وهو غُلام ، ابن اثنتي عشرة سنة ، بيده السيف ، فمن رآه عجِب ، وقال : الغلام معه السيف ! حتى أتى النبي ﷺ ، فقال : ما لك يا زبير ؟ فأخبره وقال : أتيتُ أضرب بسيفي مَنْ أخذك . فدعا له ولسيفه »[2] .

قال يتيم عروة محمد بن عبد الرحمن النوفلي المدني : « هاجر الزبير وهو ابن ثمان عشرة سنة ، وكان عمُّه يعلِّقه ويُدَخِّنُ عليه ، وهو يقول : لا أرجع إلى الكفر أبدًا »[3] .

هذه طفولة الحواريِّ ، فكيف شبابه وكهولته !! .

---

(١) قول يحيى بن معاذ في تاريخ بغداد ٢١١/١٤ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ، وأبو نعيم في الحلية ورجاله ثقات .
انظر الإصابة ٨/٤ ، سير أعلام النبلاء ٤١/١ - ٤٢ ، الاستيعاب ٣١١/٣ ، أُسْد الغابة ٢٥٠/٢ .

(٣) حلية الأولياء ٨٩/١ ، والطبراني في الكبير (٢٣٩) ، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٥١/٩ وقال : رجاله ثقات إلا أنه مرسل ، وأخرجه الحاكم ٣/ ٣٦٠ ، والذهبي في السير ٤٤/١ .

كانت أُمُّه صفية تضربه ضربًا شديدًا وهو يتيم ، فقيل لها : قتلته ، أهلكته ، قالت :

إنما أضْرِبُه لكي يَدِبّ ويهزمَ الجيشَ ويأتي بالسَّلَبْ[1]

قال عروة بن الزبير : كسر الزبير ذات يوم يدَ غلامٍ ، فجيء بالغلام إلى صفية ، فقيل لها في ذلك ، فقالت :

كيف وجدتَ زَبْرا أأَقِطًا أمْ تَمْـرا

أم مُشْمَعِلًّا صَقْرا[2]

٦ - سعد بن أبي وقَّاص خالُ رسول الله ﷺ :

قال موسى بن طلحة: «كان عليٌّ، والزبير، وطلحة، وسعد، عِذار عام واحد ؛ يعني وُلدوا في سنة»[3] .

ويقول سعد : « لقد شهدتُ بدرًا ، وما في وجهي شعرة واحدة أمسحها بيدي »[4].

وقد كان سعد من السابقين إلى الإسلام .

قال سعيد بن المسيب : سمعتُ سعد بن أبي وقاص يقول : « ما أسلم

---

(١) الإصابة ٤/٧ - ٨ . وعند ابن سعد في الطبقات والذهبي في السير ١/٤٥ « ويجرّ الجيش ذا اللَّجبْ » .

(٢) في السير ١/٤٥ « كيف وجدتَ وبْرا » .
والأَقِط : بفتح الهمزة وكسْر القاف ، وقد تُسكن . قال الأزهري : ما يُتَّخذ من اللبن المخيض ، يُطبخ ثم يُترك حتى يمصل . والمُشْمَعِلّ : السريع ، يكون في الناس والإبل .

(٣) سير أعلام النبلاء ١/٤٤ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١/٩٧ .

أحدٌ إلا في اليوم الذي أسلمتُ فيه ، ولقد مكثتُ سبعة أيام وإني لَثُلُثُ الإسلام »[(١)] .

وروى الإمام مسلم عن سعد بن أبي وقاص « أنه نزلت فيه آيات من القرآن . قال : حلفتْ أمُّ سعد ألا تُكلِّمه أبدًا حتى يكفر بدينه ، ولا تأكل ولا تشرب . قالت : زعمتَ أنَّ الله وصَّاك بوالديك ، وأنا أُمُّك ، وأنا آمرك بهذا . قال : مكثتْ ثلاثًا حتى غُشي عليها من الجهد . فقام ابنٌ لها يُقال له : عُمارة ، فسقاها ، فجعلتْ تدعو على سعد . فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية : ﴿ **ووصَّينا الإنسان بوالديه حُسْنًا** ﴾ ، ﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بي** ﴾ [لقمان : ١٥] وفيها : ﴿ **وصاحبْهما في الدنيا معروفا** ﴾.

وعن سعد قال : نزلتْ هذه الآية فيَّ : ﴿ **وإنْ جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علمٌ فلا تُطعهما** ﴾ [العنكبوت : ٨] . قال : كنتُ بَرًّا بأمِّي ، فلما أسلمتُ ، قالت : يا سعد ، ما هذا الدين الذي قد أحدثتَ ؟ لَتَدعنَّ دينك هذا ، أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت ، فتُعيَّر بي ، فيُقال : يا قاتل أمِّه . قلتُ : لا تفعلي يا أُمَّهْ ، إني لا أدع ديني هذا لشيء . فمكثتْ يومًا لا تأكل ولا تشرب ، وليلة ، وأصبحتْ وقد جُهدتْ . فلما رأيتُ ذلك ، قلتُ : يا أُمَّهْ ، تعلمين والله لو كان لك مائة نفس ، فخرجتْ نفْسًا نفْسًا ، ما تركتُ ديني ، فإنْ شئتِ فكُلي أو لا تأكُلي . فلما رأتْ ذلك أكلتْ »[(٢)].

---

(١) رواه البخاري ، وابن ماجة ، وأحمد في فضائل الصحابة ، وأبو نعيم في الحلية . قال الحافظ في الفتح (٨٤/٧) : « قال ذلك بحسب اطلاعه . والسبب فيه أنَّ مَنْ كان أسلم في ابتداء الأمر كان يُخفي إسلامه » .

(٢) أخرجه أحمد، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والسيوطي في « الدُّرّ المنثور » ، وابن المنذر .

٧ – عُمير بن أبي وقَّاص رضي الله عنه : (عمير بن مالك الزهري) :

« عن سعد بن أبي وقاص قال : ردَّ رسول الله ﷺ عُمير بن أبي وقاص عن بدر ؛ استصغَره ؛ فبكى عُمير ، فأجازه ، فعُقدت عليه حمالة سيفه . ولقد شهدتُ بدرًا ، وما في وجهي شعرة واحدة أمسحها بيدي »[1] .

وقُتل رحمه الله شهيدًا .

رضي اللهُ عن ابنَيْ أبي وقاص .. فهذا الشبل شقيق الأسد !

٨ ، ٩ ، ١٠–معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ بن الحارث « معاذ ابن عفراء » ، ومعوذ بن الحارث « قَتَلةُ فرعون هذه الأمة أبي جهل » :

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : « إني لَواقفٌ يوم بدر في الصف ، فنظرتُ عن يميني وشمالي ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار ؛ حديثة أسنانهما ، فتمنَّيْتُ أن أكون بين أظلع منهما ، فغمزني أحدهما ، فقال : يا عمّ ، أتعرف أبا جهل ؟ فقلتُ : نعم ، وما حاجتك إليه ؟ قال : أُخبرتُ أنه يسُبُّ رسول الله ﷺ ، والذي نفسي بيده لئن رأيتُه لا يُفارق سوادي سوادَه حتى يموت الأعجل منا . فتعجَّبتُ لذلك ، فغمزني الآخر ، فقال لي أيضًا مثلها ، فلم أنشب أن نظرتُ إلى أبي جهل وهو يجول في الناس ، فقلتُ : ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه . فابتدراه بسيفيهما . فقال : « كلاهما قتله » ، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، والآخر معاذ بن عفراء »[2] .

وعند البخاري : عن عبد الرحمن بن عوف : « إني لفي الصفِّ يوم بدر إذ التفتُّ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السنِّ ، فكأني لم آمن

(١) سير أعلام النبلاء ١/٩٧ ، وإسناده مُحتمل للتحسين .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

بمكانهما ، إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه : يا عمّ ، أرني أبا جهل ، فقلتُ : يا ابن أخي ، ما تصنع به ؟ قال : عاهدتُ الله إنْ رأيتُه أنْ أقتلَه أو أموتَ دونه ، وقال لي الآخر سرًّا من صاحبه مثله . قال : فما سرَّني أنني بين رجُلين مكانهما ، فأشرتُ لهما إليه ، فشدَّا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه ، وهما ابنا عفراء »[(١)]. أي معاذ ومعوذ .

« وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم بدر : « مَنْ ينظر ما صنع أبو جهل ؟ ». فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد . فقال : آنت أبا جهل ؟ قال ابن علية : قال سليمان : هكذا قالها أنس . قال : آنت أبا جهل ؟ قال : وهل فوق رجل قتلتموه ، أو قال : قتله قومه . قال : وقال أبو مجلز[(٢)]: قال أبو جهل : فلو غير أكَّار[(٣)] قتلني »[(٤)].

أكَّار ، ولكنهما صقران يا رأس أئمة الكفر وفرعون هذه الأمة !

لقد سُرَّ رسول الله ﷺ بما صنع الصقران وخرَّ ساجدًا،كما جاء عند البيهقي .

« عن معاذ بن عمرو قال : جعلتُ أبا جهل يوم بدر من شأني . فلما أمكنني ، حملتُ عليه ، فضربتُه ، فقطعتُ قدمه بنصف ساقه . وضربني ابنه عكرمة بن أبي جهل على عاتقي ، فطرح يدي وبقيتْ مُعلَّقة بجلدة بجنبي ، وأجهضني عنها القتال ، فقاتلتُ عامَّة يومي وإني لأسحبها خلفي ،

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو يعلى .

(٢) هذا القدر مُرسَل ؛ لأن أبا مجلز تابعيٌّ .

(٣) قال الحافظ في الفتح (٧/٢٩٥) : الأكَّار ؛ بتشديد الكاف : الزَّرَّاع ، وعنى بذلك أن الأنصار أصحاب زرع ، فأشار إلى تنقيص مَنْ قتله منهم بذلك .

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو يعلى .

فلما آذتني ، وضعتُ قدمي عليها ، ثم تمطَّأتُ عليها حتى طرحتُها » .

قال الذهبي مُعلِّقًا : « هذه والله الشجاعة ، لا كآخر ؛ مِنْ خَدْشٍ بسهم ينقطع قلبُه ، وتخور قواه »[1].

١١ - عبد الله بن الزبير « عائذ بيت الله وفارس الخلفاء » :

كان أول مولود للمهاجرين بالمدينة ، وكبَّر المسلمون تكبيرة واحدة حتى ارتجَّت المدينة ، وحنَّكه رسول الله ﷺ .

وعند مسلم : « خرجتْ أسماء بنت أبي بكر ، حين هاجرتْ ، وهي حُبلى بعبد الله بن الزبير ، فقدمتْ قباءً ، فنُفست بعبد الله بقباء ، ثم خرجت حين نُفست إلى رسول الله ﷺ ليُحنِّكه ، فأخذه رسول الله ﷺ منها ، فوضعه في حِجْره ، ثم دعا بتمرة . قال : قالت عائشة : فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها . فمضغها ، ثم بصقها في فيه . فإن أول شيْءٍ دخل بطنه لريقُ رسول الله ﷺ . ثم قالت أسماء : ثم مسحه وصلَّى عليه ، وسمَّاه عبد الله . ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ، ليُبايع رسول الله ﷺ ، وأمره بذلك الزبير . فتبسَّم رسول الله ﷺ حين رآه مُقبلًا إليه ثم بايعَهُ » .

نعم ، إنه ابن أبيه !!

تبيَّن فيه ميسم العزِّ والعُلا وليدًا يفَدَّى بين أيدي القوابلِ
فلما تَرَدَّى بالحمائلِ وانتحى يصولُ بأطرافِ الرماحِ الذوابلِ[2]
تَيَقَّنتِ الأعداءُ أنَّ زمانَهُ مُطيلٌ حنينَ الأُمَّهاتِ الثواكلِ

أدرك ابن الزبير من حياة النبي ﷺ ثمانية أعوام وأربعة أشهر !

---

(١) أخرجه ابن هشام ١/٦٣٤ - ٦٣٥ ، ورجاله ثقات ، ورواه الذهبي في سير أعلام النبلاء ١/٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) تردَّى بالحمائل : لبس حمائل السيف . الذوابل : المُتعطِّشة للدماء .

وقد رُوي من غير وجه أن عبد الله بن الزبير شرب من دم النبي ﷺ .

حدَّث عامر بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدَّثه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآله وهو يحتجم ، فلما فرغ قال : « يا عبد الله ، اذهبْ بهذا الدم فاهرقْه حيث لا يراك أحد » ، فلما برزتُ عن رسول الله ﷺ عمدتُ إلى الدم فحسوتُه ، فلما رجعتُ إلى النبي ﷺ قال : « ما صنعتَ يا عبد الله ؟ » قال : جعلتُه في مكانٍ ظننتُ أنه خافٍ على الناس . قال : « فلعلك شربته ؟ » قلتُ : نعم . قال : « ومَنْ أمرك أن تشرب الدم ؟ ويلٌ لك من الناس وويل للناس منك »[١].

قال أبو عاصم : كانوا يرون أن القوة التي به من ذلك الدم !

نفسٌ تُصغِّرُ نَفسَ الدهرِ من كِبَرٍ لها نُهى كَهْله في سنِّ أمْردِهِ

« روى الزبير بن بكّار عن هشام بن عروة قال : إنَّ أول ما فصح به عبد الله بن الزبير وهو صغير : السيف السيف . فكان لا يضعه من فيه ، وكان الزبير إذا سمع ذلك منه يقول له : أما والله ليكوننَّ لك منه يوم ويوم وأيام »[٢].

في البخاري عن عروة : « أن الزبير أركب ولده عبد الله يوم اليرموك فرسًا وهو ابن عشر سنين ، ووكل به رجُلًا »[٣]

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده والحاكم في المستدرك وصحَّحه ، وأورده الهيثمي في المجمع ٧٢/٨ ، وقال : رواه الطبراني والبزار باختصار ، ورجال البزار رجال الصحيح ، غير هُنيد بن القاسم وهو ثقة ، كذا قال . وذكر ابن أبي حاتم هنيد ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . وقال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ٣٦٦/٣ : « ما علمتُ في هُنيد جَرْحة » .

(٢) البداية والنهاية ٣٤٥/٨ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي : باب قتل أبي جهل . قال الذهبي في السير =

فقلتُ وقد فَرَسَ الناطقين ... كذا يفعلُ الأسدُ ابنُ الأَسَدْ[١]

وكأنه أولى الناس بقول الشاعر حمزة بن أبيض :

بلغتَ لعشرٍ مضتْ مِن سنيِّك ... ما يبلغُ السيِّدُ الأشيبُ

فهمَّكَ فيها جسامُ الأمورِ ... وهمٌّ لِدَاتِك أن يلعبوا

« مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعبد الله بن الزبير وهو يلعب مع الصبيان ، ففرُّوا حين رأوا عمر رضي الله عنه وثبت عبد الله . فقال عمر : مالك لا تفرّ مع أصحابك ؟ فقال : لم أُجرم فأخافك ، ولم يكن في الطريق ضيقٌ فأوسِّع لك »[٢] .

قال محمد بن مظفر في كتابه « أنباء نجباء الأبناء » : « بلغني أن الشفاء بنت هاشم[٣]- وهي امرأة من المهاجرات - دخلت على أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق ، فقالت لها : ماذا لقيتُ من عبد الله !! لقيتُه اليومَ ، فقلتُ : أحقًّا بايعك رسول الله ﷺ ؟! فقال : نعم . فقلتُ : بالله لقد آثرك الله على صِغَر سِنِّك . فقال : يا خالة ، إن صغيرنا إلى كِبَرٍ وإن كُبراكُنَّ إلى صِغَرٍ ، وبعدُ ، فرسول الله أبصر » .

وبعدُ ، فلا تعليق .. فالموقف تعجز عن تصويره الكلمات !!

١٢ - الحُسين بن علي ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا رضي الله عنه :

عن الحسين رضي الله عنه قال : « صعدتُ المنبر إلى عمر ، فقلتُ :

= ٦٣/١ : « هذه الوقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله ، فإن عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين » .

(١) ديوان المتنبي ٥٣١ .

(٢) أنباء نجباء الأبناء ص١٠٩ .

(٣) الأصحُّ أنها الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس .

انزلْ عن منبر أبي[1]، واذهبْ إلى منبر أبيك . فقال : إن أبي لم يكن له منبر ! فأقعدني معه ، فلما نزل ، قال : أي بُنيَّ ، مَنْ عَلَّمك هذا ؟ قلتُ : ما علَّمنيه أحدٌ . قال : أيْ بُنيَّ ، وهل أنبت على رؤوسنا الشَّعر إلا الله ثم أنتم ! ووضع يده على رأسه ، وقال : أيْ بُنيَّ ، لو جعلتَ تأتينا وتغشانا »[2].

١٣ - زيْن العابدين علي بن الحسين رحمه الله :

ومَنْ كزين العابدين في صبره ! وهو صبي يُشاهد قتْل أبيه الحسين ومعه سبعة عشرة رجلًا ؛ كلهم من أولاد فاطمة ، ما على وجه الأرض يومئذ لهم شَبَهٌ ... يُشاهد هذا الصبيُّ الطَّيِّبُ اثنين وسبعين نفسًا من أصحاب أبيه وأهل بيته قتلى ... يُشاهد جثمان أبيه يُداس بحوافر الخيل .

ولما يدخل وهو غلام على ابن زياد ، فقال له : ما اسمُك ؟ قال : أنا عليُّ بن الحسين . قال : أو لم يقتل الله عليَّ بن الحسين ؟ فسكتْ . فقال له ابن زياد : ما لك لا تتكلَّم ؟ قال : كان لي أخٌ يُقال له : عليٌّ أيضًا ، قتله الناس . قال : إن الله قتله . فسكتْ . فقال : ما لك لا تتكلَّم ؟ فقال : ﴿ **اللهُ يتوفَّى الأنفُسَ حين موتها** ﴾ [الزمر: ٤٢] ، ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله** ﴾ [آل عمران : ١٤٥]. وقال : أنت والله منهم.

ولما دخل على يزيد بن معاوية قال له : يا عليّ ، أبوك قطع رحمي ، وجهل حقِّي ، ونازعني سلطاني ، فصنع الله به ما قد رأيتَ . فقال علي : ﴿ **ما أصاب من مُصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب** ﴾ [الحديد : ٢٢].

---

(١) يُريد منبر رسول الله ﷺ بعد وفاته ، وكان الحسين صبيًّا .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخه » ١٤١/١ ، والحافظ في « الإصابة » ٣٣٣/١ وصحَّح إسناده . وقال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ٢٨٥/٣ : « إسناده صحيح » .

وهل يُنبت الخطِّيَّ إلا وشيجُهُ ويُزرعُ إلا في منابته النخلُ

هذا والله قدْر صبيان بيت النبوَّة عند الصبر على أعزِّ مُصاب وهو الحسين رضي الله عنه !!

١٤ - عبد الله بن جعفر الطيَّار رضي الله عنه :

« دخل أبو سفيان بن حرب على ابنته أُمِّ حبيبة زوج النبي ﷺ ، فرأى عندها عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما وهو صبي . فقال لها : أيْ بُنيَّة ، مَنْ هذا الغلام الذي يتضوَّع كرمًا ، ويتألَّق شرفًا ، ويتميَّع حياءً ؟ فقالت : مَنْ تظنُّه يا أبتِ ؟ فقال : أما الشمائل فهاشمية . فقالت : نعم ، هو هاشمي ، فمن تظنُّه من بني هاشم ؟ فتأمَّله ، ثم قال : إن لم يلدْه جعفر فلستُ بسدَّاد البطحاء[1] . فقال أبو سفيان : أما إنه لم يمُتْ منْ خلَّف مثل هذا .

روى صاحب كتاب « أنباء نجباء الأبناء » « أن عمر بن الخطاب قسَّم مالًا في أبناء المهاجرين ، فبدأ بأهل البيت ، وأراد أعرابي أن يدخل معهم ، فمنع ، وجاء عبد الله بن جعفر ، وهو صبيٌّ ، فلما رآه الفاروق قال : مرحبًا بابن الطيَّار ، ادخل . فسمعها الأعرابي ، فقبض على يد عبد الله وهو لا يعرفه ، لكنه سمع كلمة الفاروق ، وعلم أنه مكينٌ عنده ، فأنشأ يقول :

ألا هلْ أتى الطيّار أني مُحلَّأٌ عن الوردِ والفاروقُ يرأى ويسمعْ

وما ضرَّ إنْ لم ياته ذاك فابنه نَهُوضٌ بعبءِ الجارِ ندْب سَمَيدعْ[2]

فقال عبد الله : كنْ بمكانك يا أخا العرب . ودخل ، فأعطاه الصدِّيق

---

(١) لم يكن أبو سفيان يعرف عبد الله بن جعفر ؛ إذ كان مولودًا بالحبشة ، وقدم مع أبيه المدينة .

(٢) مُحلَّأ عن الورد : أي مطرود ممنوع . الندْب : هو الذي يُنتدب في الأمور مُسارعًا إلى العون عليها . السَّمَيدع : الشريف السيِّد .

ألف درهم ، فخرج بها ، فأعطاها الأعرابي »[1] .

١٥ - عمر بن عبد العزيز أشجُّ بني أميَّة ونجيبُها رحمه الله :

« عن أبي قبيل : أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير ، فأرسلت إليه أمُّه ، وقالت : ما يُبكيك ؟ قال : ذكرتُ الموت . قال : وكان يومئذٍ قد جمع القرآن . فبكت أمُّه حين بلغها ذلك .

وعن العتبي : أنَّ أول ما استُبين من عمر بن عبد العزيز ، أنَّ أباه ولي مصر ، وهو حديثُ السنِّ ، يُشَكُّ في بلوغه ، فأراد إخراجه ، فقال : يا أبتِ ، أوَ غيْر ذلك ؟ لعله أن يكون أنفع لي ولك : تُرَحِّلُني إلى المدينة ، فأقعد إلى فقهاء أهلها ، وأتأدَّب بآدابهم . فوجَّهه إلى المدينة ، فاشتهر بها بالعلم والعقل مع حداثة سِنِّه »[2] .

١٦ - الأشدق بن سعيد بن العاص :

« قال معاوية بن أبي سفيان لعمرو الأشدق بن سعيد بن العاص حين مات أبوه سعيد : يا غلام ، إلى مَنْ أوصى بك أبوك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ أبي أَوْصىٰ إلي ، ولم يوصِ بي »[3] .

١٧ - محمد بن المنكدر رحمه الله :

قال سفيان : تعبَّد ابن المنكدر وهو غلام ، وكانوا أهل بيت عبادة .

قال يحيى بن بكير : محمد وأبو بكر وعمر [أولاد ابن المنكدر] لا يُدرى أيهم أفضل !!

---

(١) أنباء نجباء الأبناء ص١٠٣ - ١٠٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١٦/٥ - ١١٧ .

(٣) أنباء نجباء الأبناء ص١٣٤ .

١٨ - سفيان الثوري :

« قال يحيى بن أيوب العابد : حدَّثنا أبو المثنى قال : سمعتُهم بمرو يقولون : قد جاء الثوري ، قد جاء الثوري . فخرجتُ أنظر إليه ، فإذا هو غلام قد بقل وجهه[1] .

قال الذهبي : قلتُ : كان يُنَوَّه بذكْره في صِغَره ؛ من أجل فرط ذكائه وحفظه ، وحدَّث وهو شابٌّ »[2] .

وقال ابن مهدي : رأى أبو إسحاق السبيعي سفيان الثوري مُقبلًا ، فقال : ﴿ **وآتيناه الحكم صبيًّا** ﴾ [مريم : ١٢][3] .

١٩ - سفيان بن عُيينة :

قال شعبة بن الحجَّاج : رأيتُ ابن عيينة غلامًا معه ألواح طويلة عند عمرو بن دينار ، وفي أُذُنه قُرط ، أو قال : شَنْف[4] .

قال ابن عيينة : أولُ مَنْ جالستُ : عبدُ الكريم أبو أمية ، وأنا ابن خمس عشرة سنة . قال : وقرأتُ القرآن وأنا ابن أربع عشرة سنة .

وقال : كان أبي صَيْرفيًّا بالكوفه ، فركبه دَيْنٌ ، فحملنا إلى مكة ، فصرتُ إلى المسجد ، فإذا عمرو بن دينار ، فحدَّثني بثمانية أحاديث ، فأمسكتُ له حماره حتى صلَّى ، وخرج فعرضتُ الأحاديث عليه . فقال : بارك الله فيك .

---

(١) بقل وجهه ، وأبقل : خرج شَعْره .

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/٢٣٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/٢٣٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/٤٦٢ . الشَّنْف : ما يُعلَّق من الحُلي في أعلى الأُذُن ، والقرط ما يُعلَّق في أسفلها .

وقال : أولُ مَنْ أسندني إلى الأسطوانة مسعر بن كدام ، فقلتُ له : إني حَدَثٌ . قال : إن عندك الزهري وعمرو بن دينار .

٢٠ - الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة :

قال الذهبي : « طلب العلم وهو حَدَثٌ ، وتأهَّل للفُتيا ، وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة ، وحدَّث عنه جماعة وهو حيٌّ شابٌّ طريٌّ »[(١)] .

قال مالك : « قلتُ لأُمِّي : أذهبُ فأكتب العلم ؟ فقالت : تعالَ فالبسْ ثياب العلم . فألبستني ثيابًا مُشمَّرة ، ووضعت الطويلة على رأسي ، وعمَّمتني فوقها ، ثم قالت : اذهبْ فاكتب الآن . وكانت تقول : اذهبْ إلى ربيعة فتعلَّمْ من أدبه قبل علمه »[(٢)] .

« ويظهر أنه لهذا التحريض من أُمِّه جلس إلى ربيعة الرأي أول مرة ، فأخذ عنه فقه الرأي وهو حَدَثٌ صغير على قدْر طاقته ، حتى لقد قال بعض معاصريه[(٣)]: رأيتُ مالكًا في حلقة ربيعة وفي أُذُنه شَنْفٌ . وهذا يدل على مُلازمته الطلب منذ صِغَره ، وكان حريصًا منذ صباه على استحفاظ ما يكتب ، حتى إنه بعد سماع الدرس وكتابته يتبع ظلال الأشجار ؛ يستعيد ما تلقَّى ، ولقد رأته أخته كذلك ، فذكرتْه لأبيها . فقال لها : يا بُنيَّة ، إنه يحفظ أحاديث رسول الله ﷺ .

وجاء في المدارك : كان لي أخٌ في سنِّ ابن شهاب ، فألقى أبي علينا

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٤٩ ، ٥٥ .

(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي . تحقيق : د . الأحمدي أبو النور ١/١١٠ مكتبة دار التراث .

(٣) الزبيري كما جاء في الديباج المذهب ١/٩٩ .

مسألة ، فأصاب أخي ، وأخطأتُ . فقال لي أبي : ألهتك الحمام عن طلب العلم . فغضبتُ ، وانقطعتُ إلى ابن هرمز سبع سنين (وفي رواية : ثماني سنين) لم أخلطه بغيره ، وكنتُ أجعل في كُمّي تمرًا ، وأُناوله صبيانه ، وأقول لهم : إنْ سألكم أحد عن الشيخ ، فقولوا : مشغول . وقال ابن هرمز يومًا لجاريته : مَنْ بالباب ؟ فلم تر إلا مالكًا ، فرجعتْ ، فقالت : ما ثَمَّ إلا ذاك الأشقر . فقال : فذاك عالم الناس .

وكان مالك قد اتخذ تُبَّانًا[1] محشوًّا للجلوس على باب ابن هرمز ، يتَّقي به برد حجرٍ هناك . وقيل : بل من برد صخر المسجد ، وفيه كان مجلس ابن هرمز »[2] .

وقال مالك : « كنتُ آتي نافعًا نصف النهار ، وما تُظلُّني الشجرة من الشمس ، أتحيَّن خروجه ، فإذا خرج أَدَعُه ساعة كأني لم أُرِدْه ، ثم أتعرَّض له فأُسلِّم عليه وأدَعُه ، حتى إذا دخل البلاط أقول له : كيف قال ابن عمر في كذا وكذا ؟! فيُجيبني ، ثم أُحبس عنه ، وكان فيه حِدَّةٌ ، وكنتُ آتي ابن هرمز بُكرةً ، فما أخرج من بيته حتى الليل »[3] .

٢١ - ناصر السنة الإمام الشافعي :

قال الشافعي رحمه الله : « كنتُ يتيمًا في حِجْر أُمِّي ، فدفعتني إلى الكُتَّاب ، ولم يكن عندها ما تُعطي المُعلِّم ، وكان المُعلِّم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام . فلما جمعتُ القرآن دخلتُ المسجد ، فكنتُ أُجالس العلماء ،

---

(١) في القاموس : التُّبَّان : السروال الصغير ، ولعل المراد أنه كان يحشو بعض الثياب بقطن ويجلس عليه يتَّقي به بَرْد الحجر .

(٢) « مالك » لمحمد أبي زهرة ص٢٤ ، ٢٥ طبع دار الفكر العربي ، والمدارك جـ١/١١٦ .

(٣) الديباج المذهب ١/٩٩ .

وكنتُ أسمع الحديث والمسألة فأحفظها ، فلم يكن عند أُمِّي ما تُعطيني أشتري به القراطيس ، فكنتُ أنظر إلى العَظْم فآخذه فأكتب فيه ، فإذا امتلأ طرحتُه في جُرّة ، فاجتمع عندي حُبَّان »[١] .

وقال الشافعي : « لم يكن لي مال ، فكنتُ أطلب الحديث في الحداثة ، فكنتُ أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور فأكتب فيها » .

وقال : كان حظارنا[٢] يُسمَّى كرانيف النخل ؛ يعني أنَّا كنا نُعطي مُعلِّمنا كرانيف النخل .

وقال رحمه الله : كنتُ وأنا في الكُتَّاب أسمع المُعلِّم يُلقِّن الصبيَّ الآية فأحفظها أنا . ولقد كان الصبيان يكتبون إملاءهم ، فإلى أن يفرغ المعلِّم من الإملاء عليهم كنتُ قد حفظتُ جميع ما أملى . فقال لي ذات يوم : ما يحلُّ لي أن آخذ منك شيئًا . قال : ثم لمّا أنْ خرجتُ من الكُتَّاب كنتُ ألتقط الخزف والرُّقوق[٣] وكَرَبَ[٤] النخل وأكتاف الجمال ؛ أكتب فيها الحديث ، وأجيء إلى الدواوين ، وأستوهب منها الظهور ، فأكتب فيها ، حتى كان لأُمِّي حُبَّان ، فملأْتُهما أكتافًا وخزفًا وكَرَبًا مملوءةً حديثًا .

وقال الشافعي : « رأيتُ النبي ﷺ قبل حُلُمي ، فقال لي : يا غلام ، قلتُ : لبَّيْك يا رسول الله . قال : ممن أنت ؟ قلتُ : من رهطك يا رسول الله . قال : ادنُ مني . فدنوتُ منه ، فأخذ من ريقه ، ففتحتُ فمي ، فأَمَرَّ من ريقه على لساني وفمي وشفتَيَّ ، وقال : امضِ بارك الله فيك . فما أذكر

---

(١) حلية الأولياء ٩/٧٣، مناقب الشافعي للبيهقي. تحقيق: السيد أحمد صقر ص٩٢.
والحُبُّ : هو الجُرَّة العظيمة ، والجمع : أحباب ، وحِبَبَة ، وحِباب .

(٢) الحظار : حائط النخل .

(٣) جمع رَقّ ، وهو جلد رقيق يُكتب فيه .

(٤) الكرانيف .

أني لحنتُ في حديث بعد ذلك ولا شِعْر »(١).

وقال الشافعي رحمه الله ، يذكر رحلته وهو صغير في طلب العلم : « خرجتُ من مكة فلزمتُ هُذيلًا في البادية أتعلَّم كلامها وآخذ بلغتها ، وكانت أفصحَ العرب ، فأقمتُ معهم مُدَّة ؛ أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم ، فلما أنْ رجعتُ إلى مكة جعلتُ أنشد الأشعار وأذكر أيام الناس ، فمرَّ بي رجُلٌ من الزهريين ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، عزَّ عليَّ أن لا تكونَ في العلم والفقه ، هذه الفصاحة والبلاغة . قلتُ : مَنْ بقي ممَّنْ يقصد ؟ فقال : مالك بن أنس سيِّد المسلمين . قال : فوقع ذلك في قلبي ، وعمدتُ إلى الموطَّأ فاستعرتُه من رجل بمكة وحفظتُه، ثم دخلتُ على والي مكة ، فأخذتُ كتابه إلى والي المدينة ، وإلى مالك بن أنس ، فقدمتُ المدينة ، فبلَّغتُ الكتاب ، فلما قرأ والي المدينة الكتاب ، قال : يا بُنَيَّ ، إنَّ مشْيي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافيًا راجلًا أهونُ عليَّ من المشي إلى باب مالك ، فإني لستُ أرى الذُّلَّ حتى أقف على بابه . فقلتُ : إنْ رأى الأمير أن يوجِّه إليه ليحضر ، فقال : هيهات ! ليت أني إنْ ركبتُ أنا ومن معي وأصابنا ترابُ العقيق ، يقضي حاجتنا . فواعدتُه العصر ، وقصدنا ، فتقدَّم رجل وقرع الباب ، فخرجتْ إلينا جارية سوداء ، فقال لها الأمير : قولي لمولاك : إنني بالباب . فدخلتْ فأبطأتْ ، ثم خرجتْ ، فقالت : إن مولاي يقول : إن كانت مسألة فارفعها إليَّ في رقعة حتى يخرج إليك الجواب ، وإن كان للحديث فقد عرفتَ يوم المجلس فانصرفْ . فقال لها : قولي له : إنّ معي كتاب والي مكة في مُهمٍّ . فدخلتْ ، ثم خرجتْ وفي يدها كُرسيٌّ ، فوضعتْه ، فإذا بمالك رجل شيخ طوال ، قد خرج وعليه المهابة ، وهو مُتطيلسٌ . فدفع إليه الوالي الكتاب ، فبلغ إلى قوله : إن هذا رجل شريف ،

---

(١) توالي التأسيس ص٥٢ .

من أمره وحاله ، فتُحدِّثه وتفعل وتصنع ، فرمى بالكتاب من يده ، وقال : يا سبحان الله ! قد صار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل ! قال : فرأيتُ الوالي وهو يهابه أن يُكلِّمه ، فتقدَّمتُ إليه ، فقلتُ : أصلحك الله ، إني رجل مُطَّلبيٌّ ، من حالي وقصَّتي . فلما أن سمع كلامي نظر إلَيَّ ساعة ، وكانت لمالك فراسة ، فقال لي : ما اسمك ؟ فقلتُ : محمد . قال : يا محمد ، اتَّقِ الله ، واجتنبِ المعاصي ؛ فإنه سيكون لك شأن من الشأن . فقلتُ : نعم وكرامة . فقال : إذا كان غدًا تجيء ، ويجيء مَنْ يقرأ لك الموطَّأ . فقلتُ : إني أقرأ ظاهرًا . قال : فغدوتُ إليه وابتدأتُ ، فكلما تهيَّبتُ مالكًا وأردتُ أن أقطع ؛ أعجبه حُسْنُ قراءتي وإعرابي ، يقول : يا فتى ، زدْ ، حتى قرأتُه عليه في أيام يسيرة ، ثم أقمتُ بالمدينة إلى أن تُوفِّي مالك بن أنس رضي الله عنه »[1] .

« وقال الشافعي رحمه الله : أتيتُ مالك بن أنس وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، وكان ابنُ عمٍّ لي والي المدينة ، فكلَّم لي مالكًا ، فأتيتُ لأقرأ عليه ، فقال : اطلبْ مَنْ يقرأ لك . فقلتُ:أنا أقرأ . قال : فقرأتُ عليه ، وكان ربما قال لي لشيء قد مرَّ : أعدْ حديث كذا ، فأُعيده حفظًا ، فكأنه أعجبه ، ثم سألتُه عن مسألة فأجابني ، ثم أخرى ، ثم أخرى ، فقال : أنت يجب أن تكون قاضيًا » .

قال مالك بن أنس للشافعي : « إن الله عزَّ وجلَّ قد ألقى على قلبك نورًا فلا تُطفئه بالمعصية »[2].

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ص١٠٢ - ١٠٣ ، الحلية ٩/٦٩ ، وتوالي التأسيس ص٥١ .

(٢) مناقب الشافعي ص١٠١ ، ١٠٤ .

٢٢ – إمام أهل السنة أحمد بن حنبل :

« عن إبراهيم بن شماس ، قال : كنتُ أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام ، وهو يُحيي الليل »[1] .

قال أبو بكر المروزي : قال لي أبو عفيف ، وذكر أبا عبد الله أحمد ابن حنبل ، فقال : كان في الكُتَّاب معنا وهو غُليم نعرف فضْله ، وكان الخليفة بالرقَّة ، فيكتب الناس إلى منازلهم الكتب ، فيبعث نساؤهم إلى المُعلِّم : ابعثْ إلينا بأحمد بن حنبل ؛ ليكتب لهم جواب كُتُبهم ، فيبعثه ، فكان يجيء إليهن مُطأطىء الرأس ، فيكتب جواب كُتُبِهن ، فربما أملين عليه الشيء من المنكر ، فلا يكتبه لهنَّ .

قال المروزي : قال لي أبو سراج بن خزيمة : كنا مع أبي عبد الله في الكتاب ، فكان النساء يبعثن إلى المُعلِّم : ابعثْ إلينا بابن حنبل ؛ ليكتب جواب كتبهم ، فكان إذا دخل إليهن لا يرفع رأسه ينظر إليهن . قال أبو سراج : فقال أبي وذكره ، فجعل يعجب من أدبه وحُسْن طريقته ، فقال لنا ذات يوم : أنا أُنفق على ولدي وأجيئهم بالمؤدِّبين على أن يتأدَّبوا فما أراهم يُفلحون ، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم ، انظر كيف يخرج ؟! وجعل يعجب .

وقال داود بن بسطام : أبطأتْ عليَّ أخبارُ بغداد ، فوجَّهتُ إلى عمِّ أبي عبد الله بن حنبل : لم تصل إلينا الأخبار اليوم ! وكنتُ أُريد أن أُحرِّرها وأُوصلها إلى الخليفة . فقال لي : قد بعثتُ بها مع أحمد ابن أخي . قال : فبعث عمُّه ، فأحضر أبا عبد الله وهو غلام . فقال : أليس قد بعثتُ معك الأخبار ؟ قال : نعم ! قال : فلأي شيء لم توصلْها ؟ قال : أنا كنتُ أرفع

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢٨/١١ .

تلك الأخبار !! رميتُ بها في الماء . قال : فجعل ابن بسطام يسترجع ويقول : هذا غلام يتورَّع ، فكيف نحن !! .

قال الخـلَّال : حدَّثنا محمد بن علي ، قال : حدَّثني أبو المنبه جارنا ، قال : أول شيء عُرف من أحمد بن حنبل ، أن عمَّه كتب في جواب كتاب بعث به السلطان ، فدفعه إلى أحمد بن حنبل يدفعه إلى الرسول ، فلم يدفعه أحمد إليه ، ووضعه في طاقٍ في منزلهم ، وطلب الرسول الجواب ، فقال عمُّه : قد وجَّهتُ به إليك . ثم قال لأحمد : أين الكتاب الذي أمرتُك أن تدفعه إلى الرسول على الباب ؟ فقال له : كان عليه قباء[1]، وهو ذا الكتاب في الطاق[2] .

قال الإمام أحمد حاكيًا طلبَه للحديث في صِغَره : « كنتُ ربما أردتُ البكور في الحديث ، فتأخذ أُمِّي بثيابي ، وتقول : حتى يؤذِّن الناس ، أو حتى يُصبحوا ، وكنتُ ربما بكَّرتُ إلى مجلس أبي بكر بن عيَّاش وغيره »[3] .

هذه والله الرجولة في الصِّبا !!

٢٣ - أدبُ الصبيَة من أبناء الخلفاء :

« قال معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد ، وله من العمر سبع سنين : في أية سورة أنت ؟ قال : في السورة التي تلي ﴿ **إنا فتحنا لك فتحًا مُبينًا ليغفر لك الله ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر ويُتمَّ نعمته عليك ويهـديَك**

---

(١) لعل ابن حنبل أدرك من لبس الرسول القباء أنه رسول الخليفة ، وهو يكره التعامل مع الخلفاء ؛ لشدَّة تورُّعه .

(٢) مناقب أحمد بن حنبل ص٤٣ - ٤٥ لابن الجوزي . تحقيق : د . عبد الله بن عبد المحسن التركي مكتبة الخانجي بمصر .

(٣) مناقب أحمد بن حنبل ص٥٠ .

صـراطًا مُستقيمًا وينصرَك الله نصـرًا عزيزًا ﴾ [الفتح: ١- ٣]. فقال معاوية : يا بُنيَّ ، إن هذه السورة بين سورتين ، فأيهما عنيْتَ ؟ قال : السورة التي أولها: **﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزِّل على محمد وهو الحقُّ من ربهم كفَّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾** [محمد: ٢] . فتمثَّل معاوية بقول حذافة بن غانم العدوي ، حيث يقول :

ملـوكٌ وأبنـاءُ الملـوكِ وسـادةٌ تَفَلَّق عنهم بيضةُ الطائرِ الصقرِ[١]
متى تَلْقَ منهم ناشئًا في شَـبَابِهِ تجِدْه على أعـراقِ والـدِه يجـري

وقال له يومًا : **لو قال لك** قائل : **مَنْ قومك** ، ماذا تقول له ؟ قال : **أقول** له : سلامًا . قال : **أحسنتَ** . **وإنما أراد** يزيد **قول الله** سبحانه : **﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ﴾** [الفرقان : ٦٣] »[٢].

٢٤ - المأمـون بن الرشـيد :

« قال الكسائي : بكَّرتُ يومًا إلى المكتب من دار الرشيد ، وأرسلتُ إلى عبد الله المأمون أشعرُه بحضوري ، فتشاغل باللعب وأبطأ ، فلما جاء ضربتُه ، وبينما هو يبكي ؛ استأذن عليه جعفر بن يحيى ، فاستوى على مضربته ، وجمع عليه ثيابه ، ومسح عينيه ، ثم قال للحاجب : يُؤذن له ، فلما دخل خشيتُ أن يشكوني إلى جعفر فيُسيء إليَّ ، فلما دخل رحب به ، وقرَّبه ، وتبسَّم إليه ، وحادثه ، ثم نهض جعفر ، فأمر بدابَّته فقُدِّمت إليه ، فأمر المأمون غلمانه بالسعي بين يديه . قال الكسائي : فلما خرج قلتُ للمأمون : لقد كنتُ مُشفقًا أيها الأمير أن تشكوني إلى جعفر !! فقال : أين يذهبُ بك عافاك الله ، أنا أُري جعفرًا أني أُحوجُ نفسي إلى الأدب ، والله

---

(١) تَفَلَّق تتفلّق ، وفراخ الصقر قليلة ولكنها عزيزة .
(٢) أنباء نجباء الأبناء ص١٣٠ - ١٣١ .

ما يطمع الرشيد مني في هذا ، خذْ في أمرك عافاك الله »[١].

وانظر إلى دقَّة ملاحظته وعُلُوِّ همَّته :

« قيل : إنَّ الكسائيّ كان لا يفتح على ولد الرشيد إذا غلطوا في العرض عليه ، وإنما كان ينكس طرفه ، فإذا غلط أحدهم نظر إليه ، وربما يضرب الأرض بخيزرانة في يده ، فإن سدّد القارئ للصواب مضى ، وإلا نظر في المصحف . فافتتح المأمون يومًا سورة الصفِّ ، فلما قرأ ﴿ **يأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون** ﴾ نظر إليه الكسائيّ ، وتأمَّل المأمون في المصحف ، فإذا هو مُصيب ، فمضى في قراءته . ولما انقلب إلى الرشيد قال له : إن كان أمير المؤمنين وعد الكسائيّ وعدًا فإنه يستنجزه . قال : إني وعدتُه أن آمر لبعض القُرَّاء بصلة . أفهذا الذي قال لك ؟ قال المأمون : لم يقل لي شيئًا . وأخبره بالأمر ، فتمثَّل الرشيد بقول الشاعر في ثابت بن عبد الله بن الزبير :

ورثتَ أبا بكر أباك بَيَانَه ... وسيرتُه في ثابتٍ وشمائلُهْ
وأنت امرؤ تُرجى لخيرٍ وإنما ... لكلِّ امرىءٍ ما ورَّثْته أوائلُهْ[٢]

٢٥ - الراضي محمد بن جعفر :

« حكى الحسن العَروضيّ مؤدّب الراضي محمد بن جعفر المقتدر بالله ، أن الراضي كتب إلى أبيه المقتدر رقعة ، فقرمط[٣] فيها خطَّه ، وكان إذا مشق[٤] في خطِّه ومطَّط حروفه أجاد ، فقلتُ له : كأنك قصدتَ ما أرى ؟ قال : نعم . فقلتُ : ولِمَ ؟ قال : إنَّ مطَّ الحروف نوع من الجراءة ،

---

(١) أنباء نجباء الأبناء ص١٤٤ .
(٢) أنباء نجباء الأبناء ص١٤٧ .
(٣) قصَّر حروف خطِّه .
(٤) مشق في خطِّه : أسرع .

والقلم نائب اللسان ، فهل يصلح أنْ أمطَّ لساني في خطاب والدي . قال العروضي : فجعلتُ أنظر إليه نظر مُتعجِّبٍ . فقال : ما لك يا أستاذ ؟ قلتُ : أنَّى لك هذا ؟! قال : يا أستاذ ، إن آدابنا مولودة معنا . قلتُ : أشهد أنك صادق »[١] .

٢٦ - مخلد بن يزيد بن المهلب :

« سوَّدته الأزد وله اثنتا عشرة سنة ، فقال حمزة بن أبيض يُخاطبه بذلك :

بلغتَ لعشرٍ مضتْ مِن سنيِّك ما يبلغُ السيِّدُ الأشيبُ
فهمَّك فيها جسامُ الأمورِ وهمُّ لدَاتِك أن يلعبوا »[٢]

٢٧ - الحسن وسليمان ولدا وهب بن سعيد :

« أوصى وهب بن سعيد إلى رجل من أهل واسطٍ ، كان ثقة مأمونًا مُوسِرًا ، يتحرَّف بصناعة الخرز ويتَّجر في الجلود ، فأعطاه مالًا عظيمًا ، وأسلم إليه ولَدَيْه : الحسن وسليمان ، وهما صغيران ، ثم توجَّه إلى بغداد فهلك في طريقه غَرَقًا . وبلغ ذلك الوصيَّ ، فأخبر به الصبيَّين ، وقال لهما : اختارا حرفتين تتحرَّفان إليهما ، وإن أحببتما الخرازة وبيْع الجلود بصَّرتُكما ، ولكما عندي مال سأشتري لكما به ضياعًا تستظهران بها على أحداث الزمان . فقالا : ما لنا ولحِرفِ العوامِّ وصناعتهم !! وإنما حرفةُ أمثالنا خرزُ أعناق الرجال في القراطيس[٣] ، فتهيَّبهما الوصيُّ ، ورأى بزًّا[٤] ليس من سوقه ،

---

(١) أنباء نجباء الأبناء ص١٦١ ، ١٦٢ .
(٢) أنباء نجباء الأبناء ص١٦٥ .
(٣) المقصود : السيطرة على أعناق الرجال والحكم عليها بما نشاء .
(٤) البزُّ : الثوب ، يقصد نوعًا جديدًا من الصبيان غير مَنْ يعرفهم .

وضمَّ إليهما مَنْ يُؤدِّبهما ، ويُصلح من شأنهما ، فلما اشتدا قالا لوصيِّهما : إن واسط لا تفي بما نرومه من العلم ونُؤمِّله من الرياسة . فقال لهما : ما مثلكما يُوَلَّى عليه ، فأْمُراني بأمركما أُطعْه . فقالا : جهِّزْنا إلى مُعترض العلماء ، ومُستقرِّ الخلفاء . فجهَّزهما إلى بغداد ، ودفع إليهما من المال ما أراداه . ولما صارا إلى بغداد نالا ما أمَّلاه من العلم والرياسة ، وكتبا معًا في دار المأمون وهما غلامان »[1] .

قالت أُمُّ جعفر بن يحيى : لقد كنا ننهى الصبيَّ إذا بلغ العشر أن يبتسم بحضرة مَنْ يستحي منه .

٢٨ - صبيٌّ بين يدي المأمون :

« قال الحافظ إبراهيم بن سعيد الجوهري : رأيتُ صبيًّا ابن أربع سنين قد حُمل إلى المأمون ، قد قرأ القرآن ، ونظر في الرأي ، غير أنه إذا جاع ؛ بكى »[2].

٢٩ - أبو محمد بن اللبَّان :

« قال أبو محمد بن اللبَّان : حفظتُ القرآن وَلِيَ خمسُ سنين »[3].

٣٠ - الزعفراني شيخ الفقهاء والمحدِّثين :

« قال الزعفراني : قدم علينا الشافعي واجتمعنا إليه . فقال : التمسوا مَنْ يقرأ لكم . فلم يجترئ أحد أن يقرأ عليه غيري ، وكنتُ أحدَثَ القوم سِنًّا ، ما كان بعدُ في وجهي شعرة ، وإني لَأتعجَّبُ اليوم من انطلاق لساني ، بين يدي الشافعي رحمه الله ، وأعجب من جسارتي يومئذٍ ، فقرأتُ عليه

(١) أنباء نجباء الأبناء ص١٧٨ ، ١٧٩ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/١٥٠ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/١٥٠ .

الكتب كلها إلا كتابين : « كتاب المناسك » و « كتاب الصلاة » .

وقال رحمه الله : لما قرأتُ « الرسالة » على الشافعي ؛ قال لي : من أي العرب أنت ؟ قلتُ : لستُ بعربيٍّ ، وما أنا إلا من قرية يُقال لها : الزعفرانية . قال : فأنت سيِّدُ هذه القرية »[1].

٣١ - الحافظ عبد الرحمن بن بشر النيسابوري :

قال ابن بشر : أقامني يحيى القطّان في مجلسه ، فقال : ما حدَّثكم عني هذا الصبيُّ فصدِّقوه ، فإنه كيِّسٌ .

قال الذهبي : « كان ارتحال أبيه به في سنة ستٍّ وتسعين ، وهو نحو المحتلم . قال عبد الرحمن بن بشر : حملني أبي على عاتقه في مجلس سفيان ابن عُيينة ، وقال : يا معشر أصحاب الحديث ، أنا بشر بن الحكم ، سمع أبي من سفيان بن عيينة ، وسمعتُ أنا منه وحدَّثتُ عنه بخراسان ، وهذا ابني قد سمع منه .

قال عبد الرحمن : احتلمتُ باليمن مع أبي .

وقال : احتلمتُ ، فدعا أبي عبدَ الرزاق وأصحاب الحديث الغرباء ، فلما فرغوا من الطعام ؛ قال : اشهدوا أن ابني قد احتلم ، وهو ذا يسمع من عبد الرزَّاق ، وقد سمع من سفيان بن عيينة »[2].

٣٢ - بندار محمد بن بشَّار :

كان بندارَ الحديث في عصره ببلده . والبندار : الحافظ .

« قال بندار : كتب عني خمسة قرون ، وحَدَّثتُ وأنا ابن ثماني عشرة سنة .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٦٤/١٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٤١/١٢ - ٣٤٢ .

وقال رحمه الله : سألوني الحديث وأنا ابن ثماني عشرة سنة ، فاستحييتُ أن أُحدِّثهم في المدينة ، فأخرجتُهم إلى البستان ، وأطعمتُهم الرُّطَبَ وحدَّثتُهم »[1].

٣٣ - البخاري إمام الدنيا وأستاذ الأستاذين :

ذهبت عيناه في صِغَره ، فرأتْ والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام ، فقال لها : يا هذه ، قد ردَّ الله على ابنك بصره ؛ لكثرة بكائك ، أو كثرة دعائك . فأصبحنا وقد ردَّ الله عليه بصره .

قال البخاري رحمه الله : « أُلهمتُ حفْظ الحديث وأنا في الكُتَّاب . فقلتُ : كم كان سِنُّك ؟ فقال : عشر سنين ، أو أقلّ . ثم خرجتُ من الكُتَّاب بعد العشر ، فجعلتُ أختلف إلى الداخليِّ وغيره . فقال يومًا فيما كان يقرأ للناس : سفيان ، عن أبي الزبير ، عن إبراهيم ، فقلتُ له : إنّ أبا الزبير لم يروِ عن إبراهيم . فانتهرني ، فقلتُ له : ارجع إلى الأصل . فدخل فنظر فيه ، ثم خرج ، فقال لي : كيف هو يا غلام ؟ قلتُ : هو الزبير بن عدي عن إبراهيم ، فأخذ القلم مني ، وأحكم كتابه ، وقال : صدقتَ . فقيل للبخاري : ابن كم كنتَ حين رددتَ عليه ؟ قال : ابن إحدى عشرة سنة . فلما طعنتُ في ست عشرة سنة ؛ كنتُ قد حفظتُ كُتُب ابن المبارك ووكيع ، وعرفتُ كلام هؤلاء[2]، ثم خرجتُ مع أُمِّي وأخي أحمد إلى مكة ، فلما حججتُ رجع أخي بها ، وتخلَّفتُ في طلب الحديث »[3].

---

(١) تاريخ بغداد ١٠٢/٢ ، سير أعلام النبلاء ١٤٥/١٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) قال ابن حجر في مقدمة الفتح (٤٧٩) : يعني أصحاب الرأي .

(٣) تاريخ بغداد ٧/٢ و «تهذيب الكمال» (١١٦٩) ، و «طبقات الشافعية» ٢١٦/٢ و « سير أعلام النبلاء » ٣٩٣/١٢ .

وقال : « لما طعنتُ في ثماني عشرة ، جعلتُ أُصنِّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم »[١] .

وكان شيخه السُّرماري يُجلسه وهو صغير على حِجْره ويقول : مَنْ أراد أن ينظر إلى فقيه بحقِّه وصدْقه فلينظر إلى محمد بن إسماعيل .

« قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم : سمعتُ بعض أصحابي يقول : كنتُ عند محمد بن سلام ، فدخل عليه محمد بن إسماعيل ، فلما خرج قال محمد بن سلام : كلما دخل عليَّ هذا الصبيُّ تحيَّرتُ ، وألبس عليَّ أمْر الحديث وغيره ، ولا أزال خائفًا ما لم يخرج »[٢] .

هذي طفولة طبيب الحديث في عِلَله ... مثالٌ يُحتذى ، ومنارةٌ للربانيِّين أهل الآخرة !!

٣٤ - الحافظ أحمد بن الفرات الرازي :

قال عنه الذهبي في « السير » ١٢/٤٨١ : « طلب العلم في الصِّغَر ، وعُدَّ من الحفَّاظ وهو شابٌّ أمرد » .

قال أبو مسعود أحمد بن الفرات الرازي : كتبتُ الحديث وأنا ابن اثنتي عشرة سنة .

قال الذهبي : « قلتُ : بكَّر بطلب العلم ، لأنَّ أباه من أهل الحديث أيضًا .

وعن أبي مسعود قال : ذُكِرْتُ بالحفظ ، ولَي ثماني عشرة سنة ، وسُمِّيتُ : الرُّويْزي[٣] الحافظ »[٤].

---

(١) تاريخ بغداد ٢/٧ .

(٢) طبقات السبكي ٢/٢٢٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٢/٤١٦ - ٤١٧ .

(٣) تصغير الرازي .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٨٥ ، « الوافي بالوفيات » ٤/٢٩٤ .

سبحان الله ! يُطلق عليه الحافظ وهو ابن ثماني عشرة سنة ، وغيره تطول به السنون ولا يعي في العلم قيد أُنمُلة !!

٣٥ - أبو الفوارس السندي :

« قال ابن نظيف : قال لنا أبو الفوارس السندي : وُلدتُ في المُحرّم سنة خمس وأربعين ومائتين ، وأول ما سمعتُ الحديث ولَي عشر سنين »[1].

٣٦ - الحافظ محمد بن عوف الحمصي :

« قال عنه أحمد بن حنبل : ما كان بالشام منذ أربعين سنة مثل محمد ابن عوف .

قال محمد بن عوف : كنتُ ألعب في الكنيسة بالكرة وأنا حَدَثٌ ، فدخلتِ الكرةُ ، فوقعتْ قُرْبَ المعافى بن عمران الحمصي ، فدخلتُ لآخذها ، فقال : ابنُ مَنْ أنت ؟ قلتُ : ابن عوف بن سفيان . قال : أما إن أباك كان من إخواننا ، فكان ممَّن يكتب معنا الحديث والعلم ، والذي كان يُشبهك أن تتبع ما كان عليه والدك . فصرتُ إلى أُمِّي ، فأخبرتُها ، فقالت : صدقَ ، هو صديقٌ لأبيك . فألبستْني ثوبًا وإزارًا ، ثم جئتُ إلى المُعافى ، ومعي محبرة وورق . فقال لي : اكتبْ : حدَّثنا إسماعيل بن عيَّاش ، عن عبد ربه بن سليمان ، قال:كتبتْ لي أُمُّ الدرداء في لوحي : اطلبوا العلم صِغارًا ؛ تعملوا به كبارًا ، فإن لكل حاصد ما زرع »[2].

٣٧ - الحافظ أبو بكر الأثرم تلميذ الإمام أحمد :

« قال أبو بكر الخلَّال : كان الأثرمُ جليلَ القدر ، حافظًا ، وكان عاصم بن علي لما قدم بغداد ، طلب رجلًا يُخرِّج له فوائد يُمليها ، فلم

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٩٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/٦١٥ .

يجد في ذلك الوقت غير أبي بكر الأثرم ، فكأنه لما رآه لم يقع منه موقعًا ؛ لحداثة سِنِّه . فقال له أبو بكر أخرجْ كُتُبَك ، فجعل يقول له : هذا الحديث خطأ ، وهذا غلط ، وهذا كذا . قال : فَسُرَّ عاصم بن علي به ، وأملى قريبًا من خمسين مجلسًا ، فعرضتُ على أحمد بن حنبل . فقال : هذه أحاديث صحيح »[١] .

قال الذهبي : « كان معه تيقُّظٌ عجيبٌ ، حتى نسبه يحيى بن معين ، ويحيى بن أيوب المقابري ، فقال : كان أحدُ أبوي الأثرم جنِّيًا »[٢] .

٣٨ - الإمام أبو زرعة الرازي سيِّدُ الحفَّاظ :

قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ٦٦/١٣ : « طلب هذا الشأن وهو حَدَثٌ .

وقال أحمد بن محمد بن سليمان الرازي الحافظ عن طلب أبي زرعة للحديث : وُلد أبو زرعة سنة أربع وتسعين ومائة ، وارتحل من الرّيّ ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وأقام بالكوفة عشرة أشهر ، ثم رجع إلى الرّيّ ، ثم خرج في رحلته الثانية ، وغاب عن وطنه أربع عشرة سنة ، وجلس للتحديث وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة »[٣] .

قال يونس بن عبد الأعلى : أبو زرعة أشهر في الدنيا من الدنيا .

٣٩ - الإمام الحافظ ابن أبي حاتم الرازي :

قال عنه الذهبي : « كان بحرًا لا تُكدِّرُه الدِّلاء .

وُلد سنة أربعين ومائتين ، أو إحدى وأربعين .

---

(١) طبقات الحنابلة ٧٢/١، وتذكرة الحفاظ ٥٧١/٢، سير أعلام النبلاء ٦٢٥/١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦٢٥/١٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٦٦/١٣ ، ٧٨ .

قال ابن أبي حاتم رحمه الله : رحل بي أبي سنة خمس وخمسين ومائتين وما احتلمتُ بعدُ ، فلما بلغنا ذا الحُليفة ، احتلمتُ ، فسُرَّ أبي ، حيث أدركتُ حَجَّة الإسلام ، فسمعتُ في هذه السنة من محمد بن أبي عبد الرحمن المقرئ »[1] .

فكيف بصحبته لأبيه قبل ذلك !!

٤٠ - أبو زرعة الدمشقي مُحدِّث الشام :

« قال عنه ريحانة الشام أحمد بن أبي الحواري : هو شيخ الشباب . قال أبو زرعة : أُعجب أبو مسهر بمجالستي إيَّاه صغيرًا »[2] .

٤١ - الدَّبري ، راوية عبد الرزاق :

« الشيخ العالم المُسنِد أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الدَّبري راوية عبد الرزاق . سمع تصانيفه منه في سنة عشر ومائتين باعتناء أبيه به ، وكان حَدَثًا ، فإن مولده على ما ذكره الخليلي في سنة خمس وتسعين ومائة وسماعه صحيح »[3] .

وحدَّد الذَّهبي سِنَّه في الميزان ١/١٨١ عند سماعه من عبد الرزاق بأنه سبع سنين أو نحوها .

٤٢ - الإمام محمد بن جرير الطبري :

« قال تلميذه أبو بكر بن كامل الشجري القاضي : قال لي أبو جعفر : حفظتُ القرآن ولِيَ سبع سنين ، وصلّيتُ بالناس وأنا ابن ثماني سنين ، وكتبتُ الحديث وأنا ابن تسع سنين ، ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٦٣ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/٦٢٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/٤١٦ - ٤١٧ .

رسول الله ﷺ وكان معي مِخْلاة مملوءة حجارةً ، وأنا أرمي بين يديه . فقال المُعبِّر : إنه إن كَبِرَ نصح في دينه ، وذبَّ عن شريعته . فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذٍ صغير »[١].

٤٣ - الخليفة العباسي أبو العباس المعتضد بالله :

« روى التنوخي عن أبيه قال : رأيتُ المعتضد وكان صبيًّا ، عليه قباء أصفر ، وقد خرج إلى قتال وصيف بطرسوس »[٢].

٤٤ - ابن الرَّوَّاس مُسنِد دمشق :

« سمع أبا مسهر الغساني .

قال ابن الرواس : سمعتُ من أبي مسهر وأنا ابن إحدى عشرة سنة »[٣].

٤٥ - سيِّد الطائفة الجُنيد رحمه الله :

قال الذهبي : « قيل لي : إنه قال مرة : كنتُ أُفتي في حلقة أبي ثور الكلبي وليَ عشرون سنة .

قال الجُنيد : كنتُ بين يدي السَّرِّيّ ألعب وأنا ابن سبع سنين ، فتكلَّموا في الشكر . فقال : يا غلام ، ما الشكر ؟ قلتُ : أن لا يُعصى الله بنعمه . فقال : أخشى أن يكون حظُّك من الله لسانك . قال الجنيد : فلا أزال أبكي على قوله »[٤].

يرحم الله الجُنيد ! وهل يُحدُّ الشكر بأكثر من هذا .. إن كان هذا كلامه وهو صبيٌّ في لعبه ، فكيف بكلامه بعد نضوجه !! كيف بإشاراته !! كيف بعباراته !!

---

(١) تاريخ بغداد .
(٢) سير أعلام النبلاء ٤٦٦/١٣ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٥٠٥/١٣ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٦٨/١٤ ، حلية الأولياء .

٤٦ - معروف الكرخي :

قال الإمام أحمد بن حنبل : وهل يُراد من العلم إلّا ما وصل إليه معروف .. كان معه رأس الأمر ؛ خشية الله تعالى .

قال محمد بن المظفر: « روي لنا أن أبا محفوظ معروف بن فيروز الكرخي كان أبواه فارسيَّيْن نصرانيَّيْن ، فأسلماه وهو صغير إلى من يُعلِّمه كتابهم ، فكان يقول له : قُلْ : أب وابن وزوجة . فيقول معروف : إله واحد ، فيضربه المُعلِّم ، ثم يعود لتعليمه ، فيأبى إلّا أن يقول : إله واحد . وضربه المُعلِّم يومًا من الأيام ضربًا مُبرحًا ، فهرب معروف ، فلم يُطق أبواه صبرًا ، وكادا يهلكان جزعًا عليه . وكانا يقولان : ليتنا لو وجدناه على أي دين كان عليه فندين بدينه . ولم يزل معروف يسير في الأرض حتى لقي عليَّ بن موسى الرضا- وهو غلام- فأسلم على يديه، وتولّاه وخدمه مُدَّةً طويلة، ثم عاد إلى أهله بعد ذلك، فقرع الباب على أبويه ليلًا، فقالا: مَنْ؟ قال: معروف. قالا قبل أن يفتحا له الباب: على أي دين أنت؟ قال: على دين الإسلام. قالا: ادخل، فنحن على دينك. وأسلما، وجمع الله شملهم على الهدى.

وبلغني أن معروفًا كلَّم أبويه في أمْر دينهما بكلام كرهاه ، فقالتْ أمُّه لأبيه : إن ابنك طفلٌ لا يُحسن هذا الكلام ، وإنما أفسده عليك بعض المسلمين ، فاحبسْه في بيتك ، فإن ذلك أنفع له . فحبسه في خزانة بيته أيَّامًا ، ثم رقَّ عليه فأخرجه ، فعاد إلى الخزانة ، وكان بعد ذلك لا يخرج منها إلا أن يُخرجوه كرْهًا . فقال له أبوه : إلى كم لا تبرح في هذه الخزانة ؟ فقال : إني وجدتُ فيها الذي زعمتما أنه أفسدني عليكما . قال أبوه : مَنْ هذا ؟ فصمت عنه . قال أبوه لأُمِّه : هذا عملُكِ !! لقد خُلط ولدي في عقله !! وانطلق به إلى راهب ، فقصَّ عليه خبره ، وسأله أن يرقيه ويُعوِّذه . فقال له الراهب : مَنِ الذي أفسدك على أبويك ؟ قال : قلبي ، ما زال يُفكّر

في الذي فطر الأرض والسماء ، ويُفكِّر في حالهما ومآلهما . قال الراهب : وما الذي تراه يا معروف ؟ قال : أرى أنَّ واحدًا عمل الأشياء كلها ، ولا يصحُّ أن يُشبهه شيء منها ؛ لأنه لو أشبه شيئًا منها لكان معمولًا مثلها . فقال الراهب : مكانك حتى أخرج إليك . ودخل صومعته ، فأخرج دواةً ورقًّا ، ثم أعاد المسألة على معروف ، وكتب جوابه ، وقال لفيروز : يا فيروز ، لولا أنك قلت لي : إنه ابني ؛ لقلتُ : إنه من تلاميذ الملائكة . فانصرف فيروز بابنه مسرورًا . قال معروف : فحدَّثتُ بذلك مولاي علي ابن موسى الرضا ، فقال : إنك من تلاميذ الملائكة »[1] .

٤٧ - شيخ الشام أبو عبد الله ابن الجلَّاء :

قال ابن الجلَّاء : ما جلا أبي شيئًا قطُّ ، ولكنه كان يعظ ، فيقع كلامه في القلوب ؛ فسُمِّي جلّاء القلوب .

« قال ابن الجلّاء : قلتُ لأبي وأُمِّي : أُحِبُّ أن تهباني لله . قالا : قد وهبناك لله . فغبتُ عنهما مُدَّةً ، فرجعتُ من غيبتي - وكانت ليلة مطيرة - فدققتُ عليهما . فقالا : مَنْ ؟ قلتُ : ولدُكما . قالا : كان لنا ولدٌ فوهبناه لله ، ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبنا . وما فتحا لي الباب »[2] .

وفي رواية : أن أُمَّه قالت له لما قال : أُحِبُّ أن تهباني لله . فقالت : لا تصلح للمُلك ، فعليك بالعبادة . فأخذ يجدُّ فيها وهو صغير ، وبعد فترة قالت له : الآن تصلح أن نهبك لله ...

والله إن موقف ابن الجلَّاء ووالديه يعجز عنهما اللسان !! .

٤٨ - سهل بن عبد الله التستري شيخ عصره :

قال محمد بن مظفر : « إن سهل بن عبد الله التستري لما بلغ من

---

(١) أنباء نجباء الأبناء ص١٨٥ - ١٨٧ .

(٢) حلية الأولياء ١٠/٣١٥ .

عمره ثلاث سنين ؛ كان يسهر الليل ينظر إلى صلاة خاله محمد بن سوار ، وربما قال له خاله : قُمْ يا بُنيَّ ، فقد شغلتَ قلبي . ولمّا رأى خاله ذلك قال له : ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ قال : كيف أذكره ؟ قال : قل : الله معي ، الله شاهدي ، الله ناظرٌ إليَّ ؛ كل ليلة ثلاث مرات . ففعل ذلك ليالي . ثم قال له خاله : قُلْه سبع مرات في كل ليلة . فلبث على ذلك مدة ، ثم قال له خاله : قلْهُ إحدى عشرة مرة في كل ليلة . ففعل ذلك زمانًا .

قال سهل : فوجدتُ في نفسي وقلبي حلاوة لذلك ، فأخبرتُ خالي ، فقال : يا سهل ، مَنْ كان الله معه ، وشاهدًا عليه ، وناظرًا إليه ، كيف يعصيه ؟!! إيَّاك أن تعصي الله .

وبلغني أن أبا محمد سهلًا حفظ القرآن وهو ابن ستِّ سنين ، وكان يُفتي في مسائل الزهد والورع ومقامات الإرادة وفقه العبادة وهو ابن اثنتي عشرة سنة .

ولما بلغ ثلاث عشرة سنة عرضت له مسألة فلم يجد بتستر مَنْ يُجيبه عنها ، فقال لأهله : جَهِّزوني إلى البصرة . فلم يجد بالبصرة مَنْ يستفتيه ، فذُكر له حمزة بن عبد الله بعبدان . فقصدها ، ولقي حمزة ، فوجد عنده ما يُريد ، وصَحِبَه .

قال محمد بن مظفر : ومن عجيب أجوبته ؛ ما بلغني أن رجلًا من ذوي اليسار كان جارًا لخاله ، فحجَّ الرجل ثم قفل إلى أهله ، فذهب خاله ليُهنِّئه ، وتبعه سهل ، فلما جلسا أقبل الرجل يُحدِّث خال سهل عمَّن لقي من الفضلاء بمكة ، وعن حجَّته ، إلى أن قال : وشُغلتُ عن طواف الوداع بكذا وكذا ، ثم التفت إلى سهل كالمُمازح له ، وهو إذْ ذاك لم يبلغ اثنتي عشرة سنة ، إلا أنه كان مقصودًا بالمسائل ، معروفًا بالإجادة في جواب

ما يُسأل عنه : ما تقول أنت يا أستاذ في مَنْ ترك طواف الوداع ؟ فأنشده سهل رضي الله عنه :

ولما تذكَّرتُ المنازل والحمى ... ولم يُقضَ لي تسليمة المُتزوِّدِ
زفرتُ إليها زفـرةً لـو حشـوتُها ... سـرابيلَ أدراع الحديدِ المسرَّدِ
لذابتْ حواشيها وظلَّت لحرِّها ... تلينُ كما لانَت لداود في اليدِ

فوثب الرجل وثبة ملسوعٍ ، ونزع ثيابه ، ولبس ثوبَيْ إحرامه ، وصاح : لبَّيْك اللهمَّ لبَّيْك بحجة . وتجهَّز عائدًا إلى مكة .

وروى عبد الرحمن بن محمد صاحب كتاب « صفة الأولياء ، ومراتب الأصفياء » بإسناده ، قال : ذكر سهل الله ، وهو ابن ثلاث سنين ، وصام وهو ابن خمس سنين حتى مات ... وساح في طلب العلم وهو ابن تسع سنين ، وكانت تُلقى مشكلات المسائل على العلماء ، ثم لا يُوجد جوابها إلا عنده ، وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وحينئذٍ ظهرت عليه الكرامات ، والله أعلم »[١].

٤٩ - الرامَهُرْمُزي صاحب كتاب « المُحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي »:

قال عنه الذهبي : وما أحسنه من كتاب !

قال الذهبي في السير ٧٣/١٦ : « وأول طلبه لهذا الشأن في سنة تسعين ومائتين ، وهو حَدَثٌ ، فكتب وجمع وصنَّف ، وساد أصحابَ الحديث ، وكتابه المذكور يُنبيء بإمامته » .

٥٠ - الذُّهْلي ، أبو الطاهر محمد بن أحمد ، قاضي الديار المصرية :

قال الذهبي : سمع وهو ابن تسع سنين[٢].

---

(١) أنباء نُجباء الأبناء ص١٨٨ - ١٩١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٠٥/١٦ ، ٢٠٦ .

قال الحافظ عبد الغني : قد قرأ القرآن وهو ابن ثمان سنين[١] .

٥١ - الحسن بن رشيق ، أبو محمد العسكري المصري :

« الإمام المُحدِّث الصادق . سمع وهو مُراهق »[٢] .

٥٢ - شيخ الإسلام الحافظ الإسماعيلي :

مولده في سنة (٢٧٧هـ) .

قال الذهبي : « كتب الحديث بخطه وهو صبيٌّ مميِّز ، وطلب في سنة ٢٨٩هـ وبعدها » .

قال الإسماعيلي في « معجمه » : « كتبتُ في صغري الإملاء بخطّي في سنة ٢٨٣ ، ولي يومئذٍ ستٌّ سنين » فهذا يدلُّك على أن أبا بكرٍ حرص عليه أهله في الصغر .

وقال : كتبت بخطّي عن أحمد بن خالد الدامغاني إملاءً في سنة ثلاث وثمانين ، ولا أذكر صورته .

وقال : لما ورد نعي محمد بن أيوب الرازي ، بكيتُ وصرخت ، ومزَّقت القميص ، ووضعت التراب على رأسي ، فاجتمع عليّ أهلي ، وقالوا : ما أصابك ؟ قلت : نُعِيَ إليَّ محمد بن أيوب ، منعتموني الارتحال إليه.فَسَلَّوْني وأذنوا لي في الخروج إلى « نَسَا » إلى الحسن بن سفيان ، ولم يكن ها هنا شعرة . وأشار إلى وجهه[٣] .

٥٣ - مُسْنِد خراسان أبو عمرو بن حمدان :

ارتحل به والده الحافظ أبو جعفر إلى العجم والعراق والجزيرة والنواحي ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦/٢٨٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٦/٢٩٢ - ٢٩٦ .

وسمَّعه الكثير ، وطلب هو بنفسه .

ارتحل إلى الحسن بن سفيان النَّسوي وهو ابن ست عشرة سنة[١] .

٥٤ - ابن شاذان البزَّار الشيخ الإمام :

روى عنه رفيقُه أبو الحسن الدارقطني .

قال الخطيب : كان ثقةً ثبتًا كثير الحديث . ولد في ربيع الأول سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين (٢٩٨هـ) . وسمع وهو ابن خمس سنين[٢] .

قال ابن شاذان : جاءوني بجزء فيه سماعي من محمد بن محمد الباغندي سنة تسع وثلثمائة (٣٠٩ هـ) ولم يكن لي به نسخة فلم أُحدِّث به[٣] .

٥٥ - عَلَم الجهابذة أبو الحسن الدارقطني :

فريدُ عصرِه وقريعُ دهرِه، ونسيجُ وَحْدِه، وإمامُ وقته، كما قال الخطيب .

سمع وهو صبيٌّ من أبي القاسم البغوي وكثيرين .

قال أبو الفتح بن أبي الفوارس : كنّا نمرُّ إلى البغوي ، والدارقطني صبيٌّ يمشي خلفنا ، بيده رغيفٌ عليه كامَخ[٤] .

قال الأزهري : بلغني أن الدارقطني حضر في حداثته مجلس إسماعيل الصَّفّار ، فجعل ينسخ جزءًا كان معه ، وإسماعيل يُملي ، فقال رجل : لا يصحُّ سماعك وأنت تنسخ . فقال الدارقطني : فهمي للإملاء خلاف فهمك ، كم تحفظُ أمْلى الشيخ ؟ فقال : لا أحفظ . فقال الدارقطني : أمْلى ثمانية عشر

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٥٦/١٦ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٤٢٩/١٦ ، تاريخ بغداد ١٨/٤ - ٢٠ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٤٢٩/١٦ .
(٤) ما يؤتدم به ، أو المخلَّلات المشهية ، وهو لفظ معرَّب .

حديثًا ، الأول عن فلان عن فلان ، ومتنه كذا ، والحديث الثاني عن فلان عن فلان ، ومتنه كذا وكذا. ومرّ في ذلك حتى أتى على الأحاديث ، فتعجَّب الناس منه ، أو كما قال[١].

٥٦ - أبو بكر محمد بن إبراهيم الكسائي الشيخ النحوي البارع :

روى صحيح مسلم .

قال الحاكم : حدَّث بـ « الصحيح » من كتاب جديدٍ بخطِّه ، فأنكرتُ فعاتبني ، فقلت : لو أخرجتَ أصلك وأخبرتني بالحديث على وجهه . فقال : أحضرني أبي مجلسَ ابن سفيان الفقيه لسماع هذا الكتاب ، ولم أجد سماعي ، فقال لي أبو أحمد الجُلُودي : قد كنت أرى أباك يُقيمك في المجلس تسمع ، وأنت تنام لصغرك ، فاكتب الصحيح من كتابي ، تنتفع به[٢].

٥٧ - القدوة الرَّبّاني أبو الفتح يوسف بن عمر القوّاس :

ولد سنة ٣٠٠هـ .

قال الخطيب : كان ثقةً زاهدًا صادقًا ، أول سماعه في سنة ٣١٦[٣].

وقال الدارقطني : كُنّا نتبرَّك بأبي الفتح القوّاس وهو صبيٌّ .

يالله !! وهل بعد كلام الدارقطني كلام ... يتبرّكون بصبيٍّ !! فكيف حالهم معه وهو شيخ ؟!!

٥٨ - إسماعيل الحاجبي :

سمع وهو صغير يُحمل على العاتق ولا يقدر على المشي[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٤٩/١٦، ٤٥٢، ٤٥٣. وتاريخ بغداد ٣٦/١٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٦٥/١٦ .

(٣) تاريخ بغداد ٣٢٥/١٤ - ٣٢٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٥٢١/١٦ .

٥٩ - ابن بطة الإمام القدوة صاحب « الإبانة الكبرى » :

قال ابن بطة : « وُلِدت سنة أربع وثلاثمائة (٣٠٤هـ) وكان لأبي ببغداد شركاء ، فقال له أحدهم : ابعث بابنك إلى بغداد ليسمع الحديث . قال : هو صغير . قال : أنا أحمله معي . فحملني معه ، فجئتُ فإذا ابن منيع يُقرأ عليه الحديث ، فقال لي بعضهم : سلِ الشيخ أن يُخرج إليك معجمه . فسألت ابنه ، فقال : نريد دراهم كثيرة . فقلت : لأُمّي طاق ملحم آخذه منها وأبيعه . قال : ثم قرأنا عليه « المعجم » في نفرٍ خاصّ في نحو عشرة أيام، وذلك في آخِر سنة خمس عشرة وأول سنة ست عشرة، فأذكره قال : حدَّثنا إسحاق الطالقاني سنة أربع وعشرين ومائتين ، فقال المُستملي : خذوا هذا قبل أن يُولد كلّ محدِّث على وجه الأرض اليوم »[1].

٦٠ - العَبْقسيّ ، مُسْنِد الحجاز :

سمع في صباه وهو ابن عشر سنين من أبي جعفر محمد بن إبراهيم الدَّيْبُلي ، وأبي التُّريك محمد بن الحسين بن موسى السعدي الحمصي ، ومحمد ابن الربيع بن سليمان ، وأبي سعيد ابن الأعرابي ، وعبد الرحمن بن عبد الله ابن المقرئ ، وبكير بن محمد الحدّاد وأبي اليسع المصِّيصيّ ، وأبي عليّ الفقيه كِمَام ، والعباس بن محمد بن الحسن بن قتيبة ، وغيرهم[2].

هؤلاء شيوخه وهو ابن عشر سنين .

٦١ - أبو عمر الهاشـمي :

الإمام الفقيه مُسنِد العراق ، القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي العباسي المصري .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/٥٣٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧/١٨١ .

قال في سماعه لسنن أبي داود : « أحضرني أبي سماعَ هذا الكتاب وأنا ابن ثمان سنين ، فأثبتَ حضوري ولم يُثبته سماعًا ، ثم سمعته وأنا ابن عشر سنين »[(١)].

٦٢ - السُّتيتي :

الدمشقي ابن الطَّحَّان .

سمع وهو صغير:الحديث ، يقول : « كنت أنام في مجلس خيثمة بن سليمان ، فينبِّهني أبي فأنظر إلى خيثمة عظيم الهامة ، كبير الأُذنين والأنف »[(٢)].

٦٣ - ابن شاذان :

أبو عليّ ، الحسن بن أبي بكر بن شاذان البغدادي البزّاز الأصولي .

« بكّر به والده إلى الغاية ، فأسمعه وله خمس سنين أو نحوها من أبي عمرو ابن السَّمّاك ، وأبي بكر العبّاداني ، وميمون بن إسحاق ، وأبي سهل بن زياد، وحمزة الدّهقان، وجعفر الخلدي، والنجاد، وعبد الله بن درستويه النحوي، وأبي عمر الزاهد ، وابن ماتي والأدمي ، والطّستي ... وعدّة »[(٣)] .

والله لا يجد الإنسان تعليقًا على هؤلاء الصفوة ، الذين حفظوا من صغرهم لنُصرة هذا الدين !

قال محمد بن يحيى الكرماني : « كنت يومًا بحضرة أبي علي بن شاذان، فدخل شابٌّ فسلّم، ثم قال: أيّكم أبو علي بن شاذان ؟ فأشرنا إليه ، فقال له : أيّها الشيخ ، رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فقال لي : سل

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢٦/١٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٥٩/١٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤١٦/١٧ - ٤١٧ .

عن أبي علي بن شاذان ، فإذا لقيتَهُ فأقرئه مني السلام . وانصرف الشاب ، فبكى الشيخ ، وقال : ما أعرف لي عملًا أستحقُّ به هذا ، إلّا أن يكون صبري على قراءة الحديث وتكرير الصلاة على النبي ﷺ كلَّما ذُكر . ثم قال الكرماني : ولم يلبث أبو علي بعد ذلك إلَّا شهرين أو ثلاثة حتى مات »(١).

٦٤ - السَّرِيّ السَّقَطِيّ ، خال الجُنيد وأستاذه :

قال محمد بن مظفر : « قرأ السري بن المغلّس على مؤدِّبه : ﴿ **ونسوق المجرمين إلى جهنم وِردًا** ﴾. [مريم : ٨٦]، فقال : يا أستاذ ، ما الورد ؟ فقال المؤدّب : لا أدري . وقرأ : ﴿ **لا يملكون الشفاعة إلّا من اتَّخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ [مريم: ٨٧]. فقال : يا أستاذ ، ما العهد ؟ فقال المؤدِّب : لا أدري . فقطع السريُّ القراءة ، وقال : إذا كنت لا تدري فَلِمَ غررتَ الناس ؟! فضربَهُ المؤدِّب ، فقال السريُّ : يا أستاذ ، ألم يكفِك الجهلُ والغرورُ ، حتى أضَفْتَ إليهما الظُّلم والأذى ؟! فاتَّعظ المؤدّب ، وتاب إلى الله من التأديب ، وأقبل على طلب العلم ، وكان يقول : إنّما أعتقني من رِقِّ الجهل السّرِيُّ .

ولمَّا بلغ في الحفظ وهو صبيٌّ إلى قوله تعالى : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ [السجدة : ١٦] ، امتنع أن يضع جنبه على الأرض لنومٍ ، فكانت أُمُّه تنصب الوسائد عن يمينه وشماله ومن وراء ظهره ، فإذا غلبه النوم أمسكتْهُ »(٢).

٦٥ - الحارث المحاسبي :

قال محمد بن مظفر : « إن الحارث بن أسد المحاسبي مرّ وهو صبيٌّ بصبيانٍ يلعبون على باب رجلٍ تمَّارٍ مُوسِرٍ ، فوقف الحارث ينظر إلى لعبهم ،

---

(١) تاريخ بغداد ٧/٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٢) أنباء نجباء الأبناء ص١٩٢ ، ١٩٣ .

وخرج صاحب الدار وبيده تمراتٌ ، فقال للحارث : كُلْ هذه التمرات يا صبي . فقال الحارث : ما خبرك فيهنّ ؟! قال : إني بعتُ الساعة تمرًا من رجلٍ فسَقَطْنَ من تمرهِ . فقال الحارث : أتعرفه ؟ قال : نعم . فالتفت الحارثُ إلى الصبيان الذين يلعبون على باب الدار ، فقال لهم : أهذا الشيخ مسلم ؟ قالوا : نعم ، نعم . فمرّ الحارث وتركه ، فاتَّبعه التمار حتى قبض عليه ، وقال : والله ما تنفلتُ من يدي حتى تقول لي ما في نَفْسِكَ مني . فقال الحارث : يا شيخ ، إن كنت مسلمًا فاطلب صاحب التمرات ، كما تطلب الماء إذا عطشتَ ، حتى تبرأ من التِّباعة !! أنت مسلم ، وتُطعم أولاد المسلمين الحرام !! فقال الشيخ : والله لا تَجِرتُ للدنيا أبدًا .

وبلغني أن امرأةً أَتَتِ الحارث وهو صبيٌّ يتعلَّم في المكتب ، فسألته أن يكتب لها كتابًا ، وأعطتْه درهمًا ، فكتب لها الكتاب ، وردَّ عليها الدرهم فأخذتْه ومضت ، فقال له المؤدِّب : لم رددتَ عليها الدرهم وقد استأجرتْك به ؟ قال : لقول الله تعالى : ﴿ **ولا يأبَ كاتبٌ أن يكتُب كما علَّمه الله فليكتُبْ** ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، فكتبتُ لها طاعةً لأمر الله ، وما كنتُ لآخُذ على طاعة الله أجرًا . قال المؤدِّب : فما مَنَعَك من أن تُعطينيه حين لم تُرِدْ أَخْذه ؟ قال الحارث : منعني من ذلك قول الله تعالى : ﴿ **وليحملُنَّ أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم وليُسألُنَّ يوم القيامة عمّا كانوا يفترون** ﴾ [العنكبوت : ١٣] [1] .

لكأنَّما حفظه الله من صغره للورع الذي اشتهر به في كبره . ولقد أخذ بالحَوْطَة لدينه في هذه المسألة ؛ فقد قال مالك بكراهية أَخْذ الأجر على الكتابة .

---

(١) أنباء نجباء الأبناء ١٩٥ - ١٩٧ .

٦٦ - الخطيب البغدادي :

الإمام الحافظ الناقد صاحب تاريخ بغداد .

كان أبوه أبو الحسن خطيبًا بقرية درزيجان ، وممَّن تلا القرآن على أبي حفص الكتّاني ، فحضَّ ولده أحمد على السّماع والفقه ، فسمع وهو ابن إحدى عشرة سنة[1] .

٦٧ - أبو الوقت عبد الأول الهروي الإمام الزاهد :

قال عنه يوسف بن أحمد الشيرازي في « أربعين البلدان » له : « لمَّا رحلتُ إلى شيخنا رُحْلَةِ الدنيا ومُسْنِدِ العصر أبي الوقت ، قدّر الله لي الوصول إليه في آخر بلاد كرمان ، فسلّمت عليه ، وقبَّلْته ، وجلست بين يديه ، فقال لي : ما أقدمَكَ هذه البلاد ؟ قلت : كان قصدي إليك ، ومُعوَّلي بعد الله عليك ، وقد كتبت ما وقع إليّ من حديثك بقلمي ، وسعيت إليك بقدمي ، لأُدرك بركة أنفاسك ، وأحظى بعلوّ إسنادك . فقال : وفَّقك الله وإيانا لمرضاته ، وجعل سعينا له ، وقصْدنا إليه ، لو كنت عرفتني حقَّ معرفتي ، لَمَا سلّمتَ عليّ ، ولا جلستَ بين يديَّ . ثم بكى بكاءً طويلًا ، وأبكى مَن حَضَرَه ، ثم قال : اللهم استُرنا بسترك الجميل ، واجعل تحت السِتْر ما ترضى به عنّا ، يا ولدي ، تعلمُ أني رحلت أيضًا لسماع « الصحيح » ماشيًا مع والدي من هَرَاة إلى الداووديّ ببُوشنج ولي دون عشر سنين ، فكان والدي يضع على يدي حجرَيْن ، ويقول : احملهما . فكنت من خوفه أحفظهما بيدي ، وأمشي وهو يتأمَّلني ، فإذا رآني قد عييتُ ، أمرني أن ألقي حجرًا واحدًا ، فأُلقي ، ويخفّ عني ، فأمشي إلى أن يتبيّن له تعبي ، فيقول لي : هل عييتَ ؟ فأخافه ، وأقول : لا . فيقول : لِمَ تُقصِّر في

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٨/٢٧٠ - ٢٧١ .

المشي ؟ فأُسرع بين يديه ساعةً ، ثم أعجز ، فيأخذ الآخر ، فيُلقيه ، فأمشي حتى أعطب ، فحينئذٍ كان يأخذني ويحملني ، وكُنّا نلتقي جماعة الفلاحين وغيرهم ، فيقولون : يا شيخ عيسى ، ادفع إلينا هذا الصَّبّي نُركبه وإيّاك إلى بوشنج . فيقول : معاذ الله أن نركب في طلب أحاديث رسول الله ﷺ ، بل نمشي ، وإذا عجز أركبتُه على رأسي إجلالًا لحديث رسول الله ﷺ ورجاء ثوابه . فكان ثمرة ذلك من حُسن نيته ، أني انتفعت بسماع هذا الكتاب وغيره ، ولم يبقَ من أقراني أحدٌ سواي ، حتى صارت الوفود ترحل إليَّ من الأمصار »[1] .

٦٨ - الكِنْدِي :

شيخ الحنفية ، وشيخ العربية ، وشيخ القراءات ، تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن .

قال عنه الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٣٤/٢٢) : « حفظ القرآن وهو صغير مميِّز ، وقرأه بالروايات العشر ، وله عشرة أعوام ، وهذا شيء ما تهيَّأ لأحدٍ قبله » .

والله إن هذا العجب العجاب !

وانتهتْ إليه الرياسةُ في النحو .

ومن شعر السخاوي فيه :

لم يكُنْ في عصرِ عمرٍو[2] مِثْلُهُ   وكذا الكِنْدِيُّ في آخرِ عَصْرِ
فهُما زيدٌ وعمرٌو إنَّما   بُنِيَ النَّحْوُ على زيدٍ وعمرِو

ولأبي شجاع ابن الدَّهّان فيه :

يا زيدُ زادك ربي من مواهِبِهِ   نُعْمى يُقَصِّرُ عن إدراكها الأمَلُ

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٠٧/٢٠ - ٣٠٨ .

(٢) يعني سيبوَيْه .

لا بدَّلَ اللهُ حالًا قد حَبَاكَ بها ... ما دار بينَ النُّحاةِ الحالُ والبَدَلُ
النحوُ أنت أحقُّ العالمينَ به ... أليس باسمك فيه يُضْرَب المثلُ

٦٩ - أبو يزيد البسطامي :

« لما تعلّم أبو يزيد البسطامي وهو صغير ﴿ **يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلًا** ﴾ [المزمل : ١ - ٢] ، قال لأبيه : يا أبتِ ، من الذي يقول الله تعالى له هذا ؟ قال : يا بُنَيَّ ، ذلك النبي محمد ﷺ . قال : يا أبتِ ، ما لك لا تصنع أنت كما صنع النبي ﷺ . قال : يا بنّي ، إن الله تعالى خصّ نبيه ﷺ بافتراض قيام الليل دون أُمَّته . فسكت عنه . فلمّا حفظ قول الله تعالى : ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك** ﴾ [المزمل : ٢٠] ؛ قال : يا أبتِ ، إني أسمع أن طائفةً كانوا يقومون من الليل ، فَمَنْ هذه الطائفة ؟ قال له أبوه : أولئك هم الصحابة رضي الله عنهم . قال : فلِمَ تتركُ ما فعله الصحابةُ ؟ قال : صدقتَ يا بُنَيَّ ، لا أتركُ إن شاء الله تعالى . فكان يقوم من الليل ويصلي .

واستيقظ أبو يزيد ليلةً ، فإذا أبوه يُصلي ، فقال : علِّمني كيف أتطهَّر وأفعل مثل فِعْلك ، وأُصلي معك . فقال له أبوه : يا بُنَيَّ ، ارقُد فإنك صغيرٌ بعدُ . قال يا أبتِ : إذا كان يوم يصدرُ الناس أشتاتًا ليُروا أعمالهم أقولُ لربي : إني قلتُ لأبي : كيف أتطهَّر لأُصلّي معك ، فأبى وقال لي : ارقُد فإنك صغيرٌ بعد ؟ قال أبوه : لا والله يا بُنَيَّ . وعلّمه ، فكان يُصلِّي معه »[1] .

٧٠ - داود بن نصير الطائي :

واسمع العجب العجاب من قصة داود الطائي وهو صبي صغير :
« لما بلغ من العمر خمس سنين ، أسلمه أبوه إلى المؤدِّب ، فابتدأه

(١) أنباء نجباء الأبناء صـ ١٩٩ - ٢٠٠ .

بتلقين القرآن ، وكان لَقِنًا[1]، فلمّا تعلَّم سورة ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا** ﴾ [الإنسان : ١] وحفظها ، رأتْه أُمُّه يوم جمعةٍ مُقبلًا على حائطٍ ، وهو يفكِّر ويُشير بيده ، فخافت عليه ، وقالت له : قُم يا داود ، فاخرج والعب مع الصِّبيان ، فلم يُجبها ، فضمَّتْه إلى صدرها ، ودَعَتْ بالوَيْل ، فقال : ما لكِ يا أُمَّاه ؟ فقالت : أَبكَ بأسٌ ؟ قال : لا . قالت : أين ذِهْنُك ؟ كلَّمْتُك فلم تسمعْ . قال : مع عباد الله . قالت : فأين هم ؟ قال : في الجنة . قالت : ما يصنعون ؟ قال : ﴿ **متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا ودانيةً عليهم ظلالها وذُلِّلتْ قطوفها تذليلًا** ﴾ [الإنسان : ١٣ - ١٤]. ومرّ في السورة ، وهو شاخِصٌ ببصره كأنه ينظر إليهم ، حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ **وكان سعيهم مشكورًا** ﴾ [الإنسان : ٢٢] ، ثم قال : يا أُمَّاه ، ما كان سعيُهم ؟ فلم تدرِ ما تُجيبه به . فقال : قُومي عني حتى أتنزَّه عندهم ساعة . فقامت وأرسلت إلى والده ، فجاء فأخبرتْه خبره ، فقال له : يا داود ، كان سعيهم مشكورًا أنهم قالوا : لا إله إلا الله ، محمدٌ رسول الله . فكان هِجِّيرَى[2] داود بعد ذلك : لا إله إلا الله محمد رسول الله »[3].

٧١ - أبو السَّرِيّ منصور بن عمَّار :

وهذا منصور بن عمّار شيخ الوعّاظ : « أصاب أُمَّه وجعُ الولادة وهو صبيٌّ بين يديها ، فقالت له : يا منصور ، بادرْ إلى أبيك ، فقل له : إن أُمّي تدعوك . فقال : أتستعينين في حال الشِّدَّة بمخلوقٍ لا يضرُّ ولا ينفع ، وأكون أنا رسولك في ذلك ؟! قالت : الساعة أموت !! قال لها : قولي :

---

(١) يحفظ ما يسمعه سريعًا .

(٢) الهِجِّيرَى : الدَّأب والعادة .

(٣) أنباء نجباء الأبناء ص٢١٢ - ٢١٣ .

أغثني يا الله . قالتْ : فانزلق جنينُها من ساعته . ورُوي أنّها قالت له وهي تَوْحَمُ[1]: يا منصور ، إني أجد ريح سمكٍ يُقلى ، فانطلق إلى أبيك ، فقل له : يأتينا الساعة بسمكٍ مقليٍّ . فقال : يبعُد هذا عليك يا أُمَّاه . فقالت له : اذهب إلى جارتنا فُلانة ، فإني أجد الرائحة من قِبَل دارها ، فقُل لها قد وجدتْ أُمّي رائحة السمك ، فأطْعِميها منه . قال : لا ينطق بهذا لساني ، ولكن أسألُ الله . فأخذتْ بأُذُنه فعَرَكَتْها ، وقالت : والله ، إن لم تأتني بشهوتي لأُخبرنَّ أباك . فقال : يا الله ... شهوة أُمّي . فإذا بالباب يُقرع ، وقائلٌ يقول : يا منصور . فخرج منصور ، فإذا بالباب سمكٌ بين رقاقتيْن ، ولم يَرَ عند ذلك أحدًا من الناس ، فأخذه ودخل بها إلى أُمّه فطعِمَتْ »[2].

٧٢ - أبو الحسين النُّوري :

قال الشيخ حُجَّة الدين محمد بن مظفر في كتابه « أنباء نجباء الأبناء » : « بلغني أن أبا الحسين النوري لمَّا قرأ القرآن الكريم ، ألزمه أبوه أن يكون معه في حانوته . فكان إذا أصبح أخذ روزمانجاً ودواةً ، وذهب يسأل عمّا جهل من كتاب الله تعالى ، ويكتب ما يُقال له ، ثم يأتي أباه . وإذا بعثه من الحانوت في حاجةٍ ، أخذ ألواحَهُ ودواةً معه ، فيسأل من مرَّ به من أهل العلم ، فإذا غاب يزجُره أبوه لغيبته ويتهدَّده ، وربّما ضربَهُ على ذلك أحيانًا . وتكرَّر ذلك ، فقال له أبوه : ليت شعري يا بُنَيَّ ، ما تريد بعلمك هذا ؟ قال : أريد أن أعرف الله تعالى ، وأتعرَّف عليه . فقال : كيف تعرفه ؟ قال : أعرفه بتفهُّم أمره ونَهْيِه . قال : وكيف تتعرَّف إليه ؟ قال : أتعرَّف إليه بالعمل بما علَّمني . قال أبوه : يا بُنَيَّ ، لا أعْرِضُ لك في أمرك هذا ما

---

(١) الوحم : رغبة تعتري المرأة الحامل في تناوُل نوع ما من الطعام .

(٢) أنباء نجباء الأبناء ص٢١٦ - ٢١٧ .

بقيتُ . ورآه - وهو صبيٌّ - شرطيٌّ من جيرانه يمشي في خرابةٍ ويبكي ، فظنَّهُ الشرطيُّ ضائعًا ، فقال له : إلى أين يا أحمد ؟ قال : والله لا أدري إلى أين . قال الشرطي : ما أبكاك ؟ قال : أبكاني أنّي لا أدري إلى أين . قال الشرطي : فاتَّبِعني أهْدِك . قال أحمد : بل أنت اتّبعني أهْدِك صراطًا سويًّا . ففطن الشرطي لما أراد ، وقال له : يا أحمد ، كيف تهديني صراطًا سويًّا ، وأنت لا تدري إلى أين ؟ فقال أحمد : إني الآن على صراطٍ مستقيم ، ولكن لا أدري ما يكون غدًا . فاتَّعظ الشرطيُّ بكلامه وتاب »[1] .

٧٣ - مجد الدين ابن تيمية ، جَدّ شيخ الإسلام ابن تيمية :

قال عنه الذهبي : « حدَّثني الإمام عبد الله بن تيمية أن جده رُبِّي يتيمًا ، ثم سافر مع ابن عمه إلى العراق ليخدمه ويتفقّه ، وله ثلاث عشرة سنة ، فكان يبيت عنده ويسمعه يكرِّر على مسائل الخلاف ، فيحفظ المسألة ، فقال الفخر إسماعيل يومًا : أيش حفظ التُّنَيْن[2]؟ فبدر المجدُ وقال : حفظتُ يا سيِّدي الدرسَ . وسَرَدَهُ ، فبُهِت الفخرُ ، وقال : هذا يجيء منه شيءٌ . ثم عرض على الفخر مصنَّفه « جُنّة الناظر » وكتب له عليه في سنة ست وستمائة[3] وعظَّمه »[4] .

٧٤ - أحمد بن الفرات :

الحافظ أبو مسعود الرازي ، محدِّث أصبهان .

قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : ما تحت أديم السماء أحفظُ لأخبار

---

(١) ٢٠٦ - ٢٠٨ .

(٢) الصبي الصغير .

(٣) أي وسنّه ست عشرة سنة .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٣/٢٩٢ - ٢٩٣ .

رسول الله ﷺ من أبي مسعودٍ الرازي .

« قال أبو مسعود : كتبتُ الحديث وأنا ابن اثنتي عشرة سنة ، وذُكرت بالحفظ ولي ثمان عشرة سنة »[١].

٧٥ - الإمام النووي :

قال عنه تلميذه علاء الدين علي بن إبراهيم ابن العطَّار : « ذكر لي الشيخُ ياسين بن يوسف المراكشي وليُّ الله - رحمه الله - قال : رأيت الشيخ محيي الدين - وهو ابن عشر سنين - بِنَوَى ، والصِّبيان يُكرهونه على اللَّعِب معهم ، وهو يهرب منهم، ويبكي لإكراههم ، ويقرأ القرآن في تلك الحال ، فوقع في قلبي محبتُه .

وجعله أبوه في دكّانٍ ، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن .

قال : فأتيتُ الذي يُقرئِه القرآن ، فوصَّيتُه به ، وقلت له : هذا الصبيُّ يُرجى أن يكون أعْلَم أهل زمانه ، وأزهدهم ، وينتفع الناس به . فقال لي : أمُنجِّمٌ أنت ؟ فقلت : لا ، وإنما أنطقني الله بذلك . فذكر ذلك لوالده ، فحرص عليه ، إلى أن ختم القرآن وقد ناهزَ الاحتلام »[٢] .

قال الشيخ عبد الغني الدقر في كتابه « الإمام النووي » ص٢٢ : « وهكذا كانت فراسة هذا الشيخ المراكشي ، أنْفَع للمسلمين قاطبةً من كل عملٍ صالحٍ له ، إذ كان بسببه وسعيه ظهور عالم زاهد تقيّ قلَّ أن يسمح الزمان بمثله ؛ إلَّا في قرونٍ متطاولة ، وما نظنٌّ أنه جاء من بعدِه مِثله ، بارك الله له في عمره القصير ، وصنع منه في عصره وما بعده أعْلَم الناس وأزْهَدهم » .

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/٥٤٤ - ٥٤٥ .

(٢) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين . تصنيف علاء الدين ابن العطار . حقَّقه مشهور حسن سليمان ص٤٣ - ٤٤، نشر دار الصميعي .

قال تلميذه ابن العطّار : « ذكر لي والده ، أن الشيخ كان نائمًا إلى جنبه ، وقد بلغ من العمر سبع سنين ليلة السابع والعشرين من رمضان ؛ قال : فانتبه نحو نصف الليل ، وأيقظني ، وقال : يا أبتِ ، ما هذا الضوء الذي قد ملأ الدار ؟ واستيقظ أهلُه جميعًا ، فلم نَرَ كلُّنا شيئًا . قال والده : فعرفت أنها ليلة القدر »(١) .

٧٦ - شيخ الإسلام ابن تيمية :

« نشأ من حين نشأ في حجور العلماء »(٢) .

قال عنه الحافظ عمر بن علي البزار : « أنبته الله أحسن النبات وأوفاه . وكانت مخايل النَّجابة عليه في صِغَره لائحة ، ودلائل العناية فيه واضحة ، أخبرني من أثق به ، عمّن حدَّثه أن الشيخ - رضي الله عنه - في حال صغره كان إذا أراد المُضِيّ إلى المكتب ، يعترضه يهوديٌّ كان منزله بطريقه ، بمسائل يسأله عنها ، لِمَا كان يلوح عليه من الذكاء والفِطْنة ، وكان يُجيبه عنها سريعًا ، حتى تعجَّب منه . ثم إنه صار كلَّما اجتاز به يُخبره بأشياء مما يدلُّ على بُطلان ما هو عليه ، فلم يلبثْ أن أسلم وحسُن إسلامه . وكان ذلك ببركة الشيخ على صِغَر سنّه »(٣) .

سبحان الله !! هذا حال مَنِ اختارهم الله لتجديد دين نبيِّه ﷺ .

ابن تيمية يُسلم على يديه يهوديٌّ وهو ما بعد ، صبيٌّ يذهب إلى الكُتَّاب . ولقد تكرَّر إسلام بعضِ اليهود على يد ابن تيمية : « فقد أسلم

---

(١) تحفة الطالبين ص٤١ .

(٢) العقود الدُّرِّيَّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية للحافظ ابن عبد الهادي ص٥ . دار الكتب العلمية .

(٣) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية - للحافظ عمر بن علي البزار . تحقيق زهير الشاويش صـ ١٦ - ١٧ . طبع المكتب الإسلامي .

على يديه ديّان اليهود بدمشق بهاءُ الدين عبد السيِّد ابن المهذّب الطبيب الكحّال ، ومعه أولاده وأهل بيته وجماعة كبيرة من اليهود ، يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة إحدى وسبعمائة »[1].

يقول الحافظ البزار : « ولم يزل منذ إبّان صغره مستغرق الأوقات في الجدّ والاجتهاد ، وختم القرآن صغيرًا ، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية ، حتى برع في ذلك » .

يقول تلميذه الحافظ ابن عبد الهادي : « سمع مسند أحمد مراتٍ ، وسمع الكتب الستة والأجزاء ومعجم الطبراني الكبير ، وعُني بالحديث ، وقرأ ونسخ ، وتعلَّم الخطّ والحساب في المكتب ، وحفظ القرآن وأقبل على الفقه ، وقرأ العربية على ابن عبد القوي ، ثم فهمها وأخذ يتأمّل كتاب سيبويه حتى فهم النحو ، وأقبل على التفسير إقبالًا كليًّا حتى حاز فيه قَصَب السَّبْق ، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك . هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة ، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته ، وسرعة إدراكه .

واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب ، قدم إلى دمشق وقال : سمعت في البلاد بصبيٍّ يُقال له : أحمد بن تيمية ، وأنه سريع الحفظ ، وقد جئت قاصدًا لعلّي أراه . فقال له خيّاط : هذه طريق كُتّابه ، وهو إلى الآن ما جاء ، فاقعد عندنا ، الساعة يجيء يعبر علينا ذاهبًا إلى الكُتّاب . فجلس الشيخ الحلبي قليلًا ، فمرَّ صبيان ، فقال الخيّاط للحلبي : هذاك الصبي الذي معه اللّوح الكبير ، هو أحمد بن تيمية . فناداه الشيخ ، فجاء إليه ، فتناول الشيخ اللوح فنظر فيه ، ثم قال : يا ولدي ، امسح هذا حتى أُملي عليك شيئًا

(١) البداية والنهاية بتصرف ١٤/٢٠ - ٢١ .

تكتُبه . ففعلَ ، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر ، أو ثلاثة عشر حديثًا ، وقال له : اقرأ هذا . فلم يزد على أن تأمّله مرَّةً بعد كتابته إياه ، ثم دفعه إليه وقال : اسمعه عليَّ . فقرأه عليه عرضًا كأحسن ما أنت سامع . فقال له : يا ولدي،امسح هذا . ففعلَ ، فأملى عليه عدَّة أسانيد انتخبها ، ثم قال : اقرأ هذا . فنظر فيه ، كما فعل أول مرة ، فقام الشيخ وهو يقول : إن عاش هذا الصبيُّ ، ليكوننَّ له شأن عظيم ؛ فإنّ هذا لم يُر مثله . أو كما قال »[1].

٧٧ - السلطان محمد بن مراد الفاتح :

ولد في ليلة السابع والعشرين من رجب سنة ٨٣٥هـ .

وكان والداه « يحوطانه بالرعاية والحب ، وفي رعاية خيرة علماء زمانه ، وعلى رأسهم الشيخ آق شمس الدين ، يصقلون مواهبه ، ويشرفون على تربيته وتأديبه ويُزوِّدونه بالعلم والمعرفة ، حتى بزَّ أقرانه في سائر العلوم ، وأصبح مُلِمًّا بالعديد من اللغات ، وانصرف عدد من خيرة فرسان أبيه يُدرِّبونه على الفروسية ، ويُؤجِّجون في صدره رُوح الجندية . ولم يكد الفتى الصغير يتخطَّى العاشرة من عمره ، حتى قرر والده أن يقذف به في غمار الحياة العمليَّة ، فعيَّنه واليًا على مقاطعة أماسيا ، ثم قائدًا عامًّا لمنطقة مانيسيا ، وأحاطه بنخبةٍ من العلماء والقادة ، يُعينونه في تحمُّل هذه المسئولية التي تنوء بها كواهل الرجال . وما مضت بضعة شهور ، حتى بدأ الناس يتهامسون بأن هذا الشِّبل من ذاك الأسد ، فقد أظهر محمد الفاتح من الكفاءة العسكرية والإدارية ، ما أعطى الدليل على أن رجاء الوالد السلطان لم يخِب في ابنه الأمير .

وفي سنة ٨٤٨هـ استدعى السلطان مراد ابنه الأمير محمدًا من مانيسيا ،

(١) العقود الدرية ص٣ - ٤ .

لتسليمه مقاليد السلطنة في « أدرنة » عاصمة الدولة العثمانية آنذاك ، ولم يكن الأمير محمد في ذلك الوقت قد أكمل الرابعة عشرة من عمره . واستمر الأمير محمد في إدارة شئون السلطنة عامًا كاملًا . وبعدها قرَّر استدعاء والده السلطان مراد ؛ ليتولّى من جديد مقاليد السلطنة ، ولكنّ السلطان مرادًا اعتذر بحاجته الماسَّة إلى الراحة ، فما كان من الأمير إلا أن أرسل رسالة إلى والده السلطان ، يقول فيها : « إن كنت تصرّ على أن أبقى على رأس الدولة ، فإني أذكِّرك يا والدي بما أوجبه الله على المسلمين من حق الطاعة لوليّ أمرهم ، ولهذا فإني آمرك أن تُسرع بالقدوم إلى أدرنة ؛ لقيادة جيوش المسلمين » . وحين وصلت رسالة الأمير إلى السلطان مراد ، ذرفت عيناه دموع الفرح ، فقد أدرك أن ولده الفتي يتصرَّف بحزم الرجال وعزيمتهم ، وتنحَّى له الأمير محمد عن مقاليد السلطنة، واستمرَّ السلطان مراد في تحمُّل مسئولية السلطنة حتى وفاته سنة ٨٥٥»[١] .

هذه طفولة وصِبَا محمد الفاتح ... يتولّى القيادة وهو ابن عشر سنوات ، فيه يصدق قول الشريف الرّضيّ :

لله جيِّـدُ مـا تَـمَـهَّـد غيرُ أحشاءِ المكارمْ
فتطوَّقَ العلياءَ وَهـو قريبُ عهدٍ بالتَّمائِم
نِيطتْ[٢] بعِطْفَيْهِ حَمَا لاتُ[٣] المغانِمِ والمغارِمِ[٤]

٧٨ - صبيٌّ عابد :

قال حجة الدين محمد بن مظفر: « بلغني أن عبد الله بن أحمد الجُلّا

---

(١) السلطان المجاهد محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية . لزياد أبو غنيمة ص١٣ - ١٨ - طبع دار الفرقان .

(٢) نِيطت : علِّقتْ .

(٣) حمالات : تحمُّل . أي أنه صار المسئول عن المغانم والمكارم .

(٤) أنباء نجباء الأبناء ص١٦٥ .

قال : اشتهتْ أُمِّي على أبي سمكًا ، فمضى إلى السوق وأنا معه فاشتراه ، ووقف ينتظر من يحمله ، فإذا صبيٌّ قد أتاه ، وقال : يا عمّ ، أتُريد أن أحمله لك ؟ قال : نعم . فحمله ، ومشى معنا فسمعْنا الأذان ، فقال الصبيُّ لأبي : قد أذّن المؤذن ، وأحتاج إلى أن أتوضّأ وأُصلي ، فاحفظْ سمكَك إن أحببتَ ، حتى أعود فأحمله إن شاء الله . ووضع السمك ومرَّ ، فقال أبي : نحن أوْلى بذلك منه ، فلنتوكَّل على الله في السمك . فتركناه ودخلْنا المسجد ، فصلَّيْنا وخرجنا والصبيُّ معنا، فأتينا السمك فإذا هو موضوعٌ مكانه ، فحمله الصبيُّ إلى دارنا . وحدّث أبي أُمّي بحديث الصبيّ ، فقالت: قُل له : يُقم عندنا ليأكُل من هذا السمك . فقُلنا له في ذلك ، فقال : إني صائم . فقلنا له : تنصرف إلى شغلك ، ثم تعود عند الإفطار . فقال : إني إذا حملتُ مرَّةً في اليوم ، لم أعُدْ لحمْلِ شيءٍ في ذلك اليوم ، ولكنّي أدخل هذا المسجد حتى أُمسي . قال عبد الله بن أحمد الجُلّا : فدخله ، ودعوناه عند الإفطار فأكل ، وقُلنا له : تبيتُ عندنا ؟ قال : نعم . فدلَلْناه على المِرحاضِ ، وفهمْنا منه أنه يُؤثر الخلْوةَ ، فأدخلناه بيتًا خاليًا . قال : وكان لغريبٍ لنا بنتٌ زَمِنَةٌ[1]، فلمَّا كان بعض الليل جاءتْنا تمشي ، فقلنا لها : ما أمرُكِ ؟ فقالت : إني سألتُ الله تعالى بحُرْمة ضيفكم أنْ يُعافيني ، فَفعَلَ . قال : فأتينا البيتَ الذي كان فيه ، فوجدناه خاليًا ، ولم نجد الصبي . قال : فكان أبي يقول بعد ذلك : فمنهم كبيرٌ ، ومنهم صغير . وبعضهم يقول : إن عبد الله بن أحمد الجُلّا سمعَ هذا الحديث في مجلسِ معروفِ الكرخيّ ، وإن الصَّبيَّة كانت بنت صاحب البيت »[2].

---

(١) زمنة : مريضة .

(٢) أنباء نجباء الأبناء ص٢٠٣ - ٢٠٤ .

« ذكْر المُصطفيات من بُنيَّاتٍ صغارٍ ، تكلَّمن بكلام العابِدات الكبار :

٧٩ - بُنَيَّةٌ بائعة اللَّبَن :

عن أسلم قال : بَيْنَا أنا مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو يَعُسُّ المدينة إذ عَيِي[١] فاتَّكأَ إلى جانب جدارٍ في جوف الليل ، فإذا امرأةٌ تقول لابنتها : يا ابنتاه ، قومي إلى ذلك اللبن ، فامذقيه[٢] بالماء . فقالت لها : يا أُمّاه ، أو ما علمتِ ما كان من عَزْمة أمير المؤمنين اليوم ؟ قالت : وما كان من عَزمتِهِ يا بُنية ؟ قالت : إنه أَمَرَ مناديَهُ فنادى أن لا يُشاب[٣] اللبنُ بالماء . فقالت لها : يا بُنية ، قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء ، فإنك بموضعٍ لا يراك عمر ولا مُنادي عمر . فقالت الصبية لأُمِّها : يا أُمَّتاه ، والله ما كنتُ لأُطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء .

٨٠ - صبيَّة وحمَّاد بن سلمة :

قال حماد بن سلمة : ألحَّ علينا المَطَرُ سنة من السنين ، وفي جواري امرأةٌ من المتعبِّدات لها بناتٌ أيتام ، فوكفَ السَّقفُ عليهم ، فسمعتُها تقول : يا رفيق ، ارفُقْ بي . فسكن المطرُ ، فأخذتُ صرَّةً فيها دنانيرُ وقرعتُ بابها ، فقالت : اللهمَّ اجْعَلْهُ حمّاد بن سلمة . قلتُ : أنا حماد بن سلمة . وأخرجتُ الدنانير ، وقلت لها : انتفعي بهذه . فإذا صبيَّةٌ عليها مدْرَعَةٌ من صوفٍ تستبينُ خُرُوقُها ، قد خرجتْ عليَّ وقالت : ألا تسكتْ يا حماد ؟ تعترض بيننا وبين ربِّنا ؟ ثم قالت : يا أُمّاه ، قد علمْنا أنا لمَّا شكونا مولانا ، أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا عن بابه . ثم ألصقتْ خدَّها على التراب وقالت :

---

(١) تعب .

(٢) اخلطيه وامزجيه .

(٣) لا يخلط .

أمَّا أنا وعزَّتك لا زايلتُ بابك وإن طردتني . ثم قالت : يا حمّاد ، رُدَّ دنانيرك - عافاك الله - إلى الموضع الذي أخرجْتَها منه ، فإنّا رفعْنا حوائجنا إلى مَنْ يقبل الودائع ولا يبخسُ العاملين [(١)].

٨١ - بنت المعافى بن عمران تُعطي بشر بن الحارث درسًا في الإخلاص :

« قال بشر بن الحارث : أتيت باب المعافى بن عمران ، فدققْتُ الباب فقيل : من ذا ؟ فقلت : بشر الحافي . فقالت لي بُنيّة له من داخل : لو اشتريتَ نعلًا بدانقيْن ، ذهبَ عنك هذا الاسم »[(٢)].

٨٢ - بنت يحيى بن معاذ :

« عن عبد الله بن محمد بن وهب قال : كان ليحيى بن معاذ ابنة صغيرة السنّ جدًّا ، فطلبت من أبيها شيئًا ، فقال لها : يا بُنيّتي ، اطلبي ذاك مِن الله . فقالت : يا أَبَهْ ، أَوَ ما أستحيي من الله أن أتقدَّم إليه في شيءٍ يُؤْكَل ؟! »[(٣)].

٨٣ - بنت حاتم الأصمّ :

قال ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤٤٣/٤) : بلغنا أن أمير بلدة حاتم الأصمّ ، اجتاز على باب حاتمٍ فاستسقى ماء ، فلمّا شرب رمى إليهم شيئًا من المال ، فوافقه أصحابه ، ففرح أهلُ الدار ، سوى بُنيّة صغيرة فإنّها بكتْ ، فقيل لها : ما يُبكيك ؟ فقالت : مخلوقٌ نَظَرَ إلينا فاستغنيْنا ، فكيف لو نظر إلينا الخالق سبحانه وتعالى .

---

(١) صفة الصفوة (٤٤١/٤ - ٤٤٢) .
(٢) صفة الصفوة ٤٤٢/٤ .
(٣) صفة الصفوة ٤٤٢/٤ .

٨٤ - بُنيَّات جماعة :

قال ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤٤٣/٤) : « عن خزيمة أبو محمد قال : قال بنات رجلٍ لأبيهنّ : يا أبه ، لا تُطعمنا إلا الحلال ؛ فإن الصبر على الجوع ، أيسر من الصبر على النار . فبلغ ذلك سفيان الثوريّ فقال : ما لهنّ رحمهنّ الله » .

٨٥ - الصِّبْية الأبابيل أطفال الحجارة ، أطفال فلسطين :

حجارةُ القُدسِ نيرانٌ وسجِّيلُ ... وفِتيةُ القدسِ أطيارٌ أبابيــلُ
وساحةُ المسجد الأقصى تموجُ بهم ... ومنطقُ القدس آياتٌ وتنزيلُ[1]

يقول الشاعر عن أطفال الحجارة :

ما عاد فينا الطِّفلُ يعبثُ لاهيًا ... فالطِّفـلُ فينا مـاردٌ جبَّـارُ
وصِغارنا حملوا الحجارةَ وازْدَهَوْا ... ما عاد في سـاحِ الجهـادِ صغـارُ
بعزيمةِ الجبّارِ نضربُ خَصْمَنا ... فيـذلُّ من عَـزَماتنا الفُجّـارُ
والفِتيـةُ الصِّيد الأُبـاةُ وحـولهم ... بحرُ المنيَّةِ مـوجُـهُ هــدَّارُ
قد أطربَ الأسـماعَ وقْعُ هتافهم ... وزها بهم يومَ الوَغـى عَمّـارُ
والقدسُ زُفّتْ للشـهيد وحولها ... بيضُ الوجـوهِ كأنّهـم أقمـارُ
هاتِي لنا الأكفانَ كي نَلْقَى الرّدَى ... وُنزَفّ فالحُوُر الحِسانُ تَغَارُ[2]

ونختم هذا الفصل بما أهداه عبد الرحمن العشماوي - حفظه الله - إلى الأطفال الفلسطينيين ، الذين يعزفون بالحجارة أوتار العِزَّة أمام صلف

---

(١) ديوان « الفتية الأبابيل » ليوسف العظم ص١٣ - دار الفرقان بعمان .
(٢) قصيدة « فالطفل فينا ماردٌ جبّار » من « ديوان الفتية الأبابيل » ص٧٥ - ٨١ ليوسف العظم .

اليهود ؛ قصيدة « شموخ في زمن الانكسار » للأطفال الذين قالوا لرجالات العرب :

كان الصباحُ قصيدةً عربيَّةً والشمسُ تُنْشِدُها فلا تَتَلَعْثَمُ
كانت ربوعُ القدسِ أرضًا حُرَّةً تُرعى كرامتُنا بها وتُعظَّمُ
يأتي إليها الفَجْرُ طفلًا أشقرًا ولسانُه بالذِّكرياتِ يُتَمْتِمُ
كُنَّا بها الأحبابَ يجمعُ بيننا دينٌ يلمُّ شتاتَنا ويُنظِّمُ
ومَضَتْ بنا الأيامُ ليلٌ حالكٌ يسطو وفجرٌ ضاحِكٌ يَتَجَهَّمُ
ومضتْ بنا الأيام بيتُ رذيلةٍ يُبْنَى وبيتُ فضيلةٍ يَتَهَدَّمُ
ومضت بنا الأيام مركب حسرةٍ ينجو وزورق فرحةٍ يتحطَّمُ
ومضتْ بنا الأيَّامُ موكب عَزْمِنا متوقِّفُ وعدوُّنا يتقدَّمُ
وسمعتُ صوتًا في مغارةِ خوفِنا يُوحي صداهُ بظالمٍ لا يرحمُ
مِنْ أين هذا الصوتُ كلُّ إجابةٍ تاهتْ ووضعُ بلادنا يتأزَّمُ
ومضتْ بنا الأيام حتى أسفرتْ عن وجهها الأحداثُ واختلَطَ الدَّمُ
وتجدَّدَ الصوتُ الغريبُ نداؤه شُؤْمٌ وأصواتُ المدافعِ أشْأَمُ
وتجدَّدَتْ مأساتُنا وتمزَّقتْ أوصالُ أُمّتنا ونام الضَّيْغمُ
مَنْ صاحب الصوتِ الغريبِ وما الذي أغراهُ بي حتى أتى يتهجَّمُ
هو صوتُ شُذَّاذِ اليهودِ وراءَهُ قُوَّاتُ أمريكا تُغِير وتهجمُ
ماذا يقولُ الصوتُ نصفُ حديثِهِ دعوَى ونصفُ حديثِهِ لا يُفْهَمُ
ما زال ينطقُ والرسائلُ لم تَزَلْ تروي لنا أقوالَهُ وتُقدِّمُ
صوتٌ ينادي أُمّتي ورجالها جهرًا ونيرانُ الضَّغينة تُضْرَمُ
لا ترفعوا رأسًا فإنَّ حُسامَنا بإزالة الرأسِ العزيزةِ مُغْرَمُ
لا ترفعوا كفًّا فإنَّ عيوننا مبثوثةٌ والقَيْدُ قيدٌ أدْهَمُ
لا تنطقوا حرفًا ففي قانوننا أنَّ الثُّغورَ الناطقاتِ تُكَمَّمُ
وإذا ضربْناكم فلا تتحرَّكُوا وإذا سحقْناكم فلا تتألَّموا

وإذا أجَعْناكم فلا تتذمَّروا　　وإذا ظلمناكم فلا تَتظلموا
نُلقي الطعامَ لكم فإن قُلنا كُلُوا　　فكُلُوا وإلا بالصِّيامِ استَعْصِمُوا
عَرَبٌ وأجملُ ما لديكم أنَّكم　　سلَّمتمونا أمْرَكم وغفلتموا
ماذا دَهاكُم تطلبونَ حقوقَكُم　　طَلَبُ الحقوقِ مِن الضعيفِ مُحَرَّمُ
نحنُ الذين نقولُ أما أنتمو　　فالغافِلونَ الصّامتونَ النُّوَّمُ
الأرضُ كلُّ الأرض مَسْرَحُنا الذي　　تجري الفصولُ عليه وَهْوَ مُنَظَّمُ
نُجري الشُّخُوصَ كما نشاءُ ونشتهي　　الدَّوْرُ يُمْلَى والمَشَاهِدُ تُرسَمُ
لن تستريحَ قلوبُنا إلا إذا　　لم يَبْقَ في الأرض الفسيحة مُسْلِمُ
وسكتُّ أبحثُ عن جوابٍ مُفحِمٍ　　وأصُفُّ أرتالَ الحروف وأنْظِمُ
ما كنتُ أعرف ما الجوابُ وربَّما　　وقفَ الحكيمُ كأنَّه لا يعلمُ
وهَمَمْتُ أنْ ألوِي العِنانَ وقد بدا　　أنِّي احْتبسْتُ وأنني لا أفْهَمُ
وإذا بجَبْهَةِ فارسٍ مُتوثِّبٍ　　يدنو ويرفعُ رأسَهُ ويُسَلِّمُ
من أنت وانْبَهَرتْ حروفي والْتَوَى　　وجهُ السؤالِ وأثْبَتَتني الأسْهُمُ
مَنْ أنت وامتدَّتْ إليه مشاعري　　جسرًا وقلبي بالسعادةِ مُفْعَمُ
من أنتَ أوزانُ القصيدةِ لم تَزَلْ　　عَطْشَى وأُفْقُ الشّاعِرِيَّةِ مُعْتِمُ
مَنْ أنتَ أشعُرُ أنَّ بِئْرَ مخاوفي　　مِن بعدِ ما شاهدتُ وجهَك تُرْدَمُ
من أنتَ لا كفٌّ تُمَدُّ إلى العِدا　　مسلوبةَ المعنى ولم ينطِقْ فَمُ
ووقفتُ حين رأيتُ طفلًا شامخًا　　قاماتُنا مِن حَوْلِه تَتَقَزَّمُ
طفلٌ صغيرٌ غيرَ أنَّ شُمُوخَهُ　　أوحى إليَّ بأنَّه لا يَهْرَمُ
طفلٌ صغيرٌ والمدافعُ حولَهُ　　مبهورةٌ والغاصِبونَ تبرَّموا
في كفِّه حَجَرٌ وتحتَ حذائِهِ　　حجرٌ ووجهُ عَدُوِّه متورِّمُ
مَنْ أنتَ يا هذا أعَدْتُ تساؤلي　　والطِّفلُ يرمُقُني ولا يتكلَّمُ
مَنْ أنتَ يا هذا ودَحْرَجَ نظرةً　　نحوي لها معنًى وراحَ يُتَمْتِمُ

أنا من رُبوعِ القُدسِ طفلٌ فارسٌ … أنا مؤمنٌ بمبادئي أنا مُسْلِمُ
لُغةُ البطولةِ مِنْ خصائصِ أُمَّتي … عنَّا رواها الآخَرُونَ وترجمُوا
مِن ذلك الوقتِ الذي انتفضتْ به … بطحاءُ مكَّةَ والحَطِيمُ وَزمْزَمُ
منذ التقى جبريلُ فوق ربوعِها … بُمحَمَّدٍ يَتْلُو له ويُعَلِّمُ
منذ استدارَ الدهر دورتَهُ التي … عزَّ التَّقِيُّ بها وذلَّ المُجرِمُ

* * *

أنا من ربوع القدسِ تحت عمامتي … عقلٌ يفكِّر في الأمور ويَحْسِمُ
ناديتُ قومي والرِّياحُ عنيفةٌ … والصمتُ كهفٌ والظلامُ مخيمُ
ناديتُ لكنَّ الذي ناديتُهُ … أعْمى أصمُّ عن الحقيقةِ أبْكَمُ
ناديتُ لكنَّ الذي ناديتُه … أمسى على ماءِ التَّخاذُلِ يَرْقُمُ
ناديتُ لكنَّ الذي ناديتُهُ … بالنَّومِ في الفُرُشِ الوثيرةِ مُغْرَمُ
ويَئِسْتُ ثم تركتُ قومي بعضُهم … يُبدِي تآمُرَهُ وبعضٌ يَكْتُمُ
ومضيتُ وحدي في دروبِ عزيمتي … إنَّ المجاهدَ حين يصدُقُ يَعْزِمُ
ورأيتُ أعدائي صغارًا كلَّما … واجهتُهم بيقينِ قلبيَ أحْجَمُوا
وغدوتُ أدعو مِنْ رجالِ عشيرتي … مَنْ سافروا خَلْفَ السَّرابِ ودَمْدَمُوا
يا مَنْ رَحَلْتُم في دروبٍ شوكُها … صعبُ المِراسِ ورملُها مُتكوِّمُ
هَذي منابِرُكم تُزلزلُ نفسَها … سأمًا وقد كفرتْ بما قَرَّرْتمو
طِيرُوا بأجنحةِ السياسةِ حيثما … شئتم وقولوا ما أردتُمْ وارْسمُوا
وقِفُوا أمام وسائل الإعلام في … سَمْتٍ لتُؤْخَذَ صورةٌ وتبسَّموا
واستَمْطروا من هيئةِ الأُمم التي … هرمتْ بقايا عطفِها كي تغنموا
وترقَّبُوا تأشيرة لدخولكم … فلربَّما جادوا بها وتكرَّمُوا
وابنُوا لكم في كلِّ أرضٍ دولةً … الشعبُ والحُكَّامُ فيها أنتمو
ودَعُوا لنا دربَ الجهادِ فإنّه … دربُ الخلاصِ لنا وإنْ كابرتمو

دربٌ مضى فيه الرسولُ وصَحْبُهُ نشروا به الحَقَّ المُبينَ وعلَّموا
ماذا أصاب القومَ ما أهدافُهُم ما بالُهم قد أَبْهَمُوا وتكتَّمُوا
قالوا انتفاضتُنا صنيعتُهُمْ ولو صدقوا لقالوا إنهم لم يعلموا
نحن انتفضْنا غيرةً وتذمُّرًا ممَّا جناهُ الغاصبونَ وأجرموا
يا أُمَّة الإسلامِ نحنُ حقيقةٌ في أرضنا فتدَبرُوا وتفهَّمُوا
ها نحن في درب الجهادِ وفوقنا مطرُ الرّصاصِ وللحجارةِ موسمُ
مِنْ داخلِ الوطن السليبِ جهادُنا لسنا وراءَ حدودهِ نتكلَّمُ
وإذَا سألتم عن حقيقةِ حالنا فلدى حجارتنا جوابٌ مُفحمُ
نرمي بها الباغي وفي إسلامنا أن الشياطين اللعينةَ تُرجمُ
أنا منْ ربوعِ القُدسِ طفلٌ شامخٌ أحمي فُؤادي باليقين وأعْصِمُ
ما زلتُ أرْقَى في مدارجِ عِزَّتي قلبي دليلي والعزيمةُ سُلَّمُ
وأرى بعينِ بصيرتي ما لا يَرَى غيري وأعرفُ ما يُحاكُ ويُبْرَمُ
وإذا سألتُمْ عن بَنِي قومي ففي كُتْبِ الحقيقةِ ما يُمِضُّ ويُؤلِمُ
لا تسألوا عن حالهم فهناك مَنْ يمحو مآثِرَ شَعْبِهِ ويُهَدِّمُ
وهناك مَنْ يبني سعادتَهُ على كَتِفِ الضعيفِ ويستبدُّ ويظلمُ
وهناك مَنْ يسخو على شهواتِهِ ويُمِضُّه في المكرماتِ الدِّرهمُ
وهناكَ مَنْ ينسى بأنَّ رِحالَهُ تمضي وأنْ الموتَ أمرٌ مُبْرَمُ
إني أقول وللدَّفاترِ ضجَّةٌ حَوْلِي تَهيبَ مِنْ صداها المرسَمُ
لو كان أمرُ الناسِ في أيديهمو ما ماتَ فرعونُ وقام المأْتَمُ
لو كان أمر الناس في أيديهمو ما ظَّل مكتوفَ اليدينِ الأشْرَمُ
لو كان أمر الناس في أيديهمو ما سفَّ مِنْ تُرْبِ الهزيمة رُسْتُمُ
سكت الرّصاصُ فيا حجارةُ حدِّثي أنّ العقيدةَ قوَّةٌ لا تُهْزَمُ

* * *